* * *

قافيـــة الـــراء

وقال فى غرض وهى أوّل قوله

بدين الهوى إن صحّ عقدُك فى الهوى ... أعن مَلَلٍ(١) فى الهجر أم كاشحٍ أغرى؟

ألا قلّما يقضى من الحبّ حاجةٌ ... مُعنًّى بنفسٍ عُلّقتْ حاجـةً أُخرى

حلفتُ لئن كان الجفاء لغَـدرةٍ ... لقد أبصرتْ عيناىَ من عينك الغدْرا

أقول لطيفٍ منك وسّـدتُ خدّه ... يمينِىَ لمّا جلّ عن يدِىَ اليسرَى:

نحولى الذى عاينتَ من هجـر ليلةٍ ... فما ظنُّها بالجسم لو هجرتْ عشرا

* * *

وقال فى مثله

ترنّمتْ ترنُّم الأسـيرِ ... ورْقاءُ فـوقَ وَرَقٍ نضـيرِ

تنطِقُ عن قلبٍ لها مكسورِ ... كأنها تُخبِرُ عن ضميرى

لبّيكِ يا حزينـةَ الصـفيرِ ... إن آستجرتِ فبمستجيرِ

منلكِ فى تبـلُّدِ المهجـورِ ... قَصّ جَناحى زمنى فطـيرى

لكِ الخيارُ أنجدى أو غورى ... وحيثما صار هواكِ صـيرى

وإن أردتِ الأمنَ أن تجورى ... فيمّمى "بغدادَ" ثمّ سيرى

أو حَوِّمى(٢) بربعها المعمـورِ ... مذ غاب فيه قمرى بالنـورِ

عسى تقوّين لأهل الحُورِ: ... وَاوَحْشتِى بعـدك للسرورِ

---

(١) فى الأصل "ملك". (٢) فى الأصل "ارحوى".

* * *

وقال يُعزِّى الشريفَيْن السيِّدَيْن الرضىّ والمرتضى ابنى الطاهر أبى أحمد الموسوىّ عن خالها أبى الحسين بن الناصر العَلَوىّ، وكان تُوفِّىَ فجأةً

خُدَعُ الزمانِ مودّةٌ من ثائرِ ... ومُنَى الحياةِ وتيرةٌ (١) من غادرِ

نغترُّ بالباقين منّا، والذى ... فَرَسُ (٢) المقدَّمِ رابضٌ للغابرِ

واذا ذوَى من دَوحةٍ غصنٌ فيا ... سُرْعانَ ما يُودِى (٣) بأخرَ ناضرِ

يا عاشقَ الدنيا، النجاءَ فإنّها ... إن ساعدتْ وصلَتْ بنيَّةِ هاجرِ

لا تَخدَعنَّك بالسرابِ فلم تدع ... ظنًّا يُرجَّم فيه وجهُ السافرِ

وأردد لحاظَك عن زخارفها تَفُزْ ... إنّ البلاءَ موكَّلٌ بالناظرِ

خَذَل المحدَّثَ نفسُه بوفائها ... تصريحُه بالغدرِ فى "ابن الناصرِ"

مشت المنونُ اليه غيرَ محصِّنٍ (٤) ... بجَنَباتِ وأغتالته غيرَ محاذرِ

ولو انّتحتْه لأنذرتْه وإنما ... شبَّ الفجيعةَ أن أُصيبَ بعاثرِ

صَرعتْه مسبِلةَ الكِمامِ (٥) وإنما ... يقع التحفُّظُ من ذِراعَىْ (٦) حاسرِ

لم يُجدِه البيتُ المطنَّبُ بالكوا ... كبِ والمعمَّدُ بالهلالِ الزاهرِ

والنسبةُ العلياءُ إن هى شَجَّرتْ ... زلقتْ معارجُها بكلِّ مُفاخرِ

وعصائبٌ مضريّةٌ قرشيّةٌ (٧) ... خُلقوا لحفظِ وشائجٍ (٨) وأواصرِ

يترا كضون الى تنجُّزِ ثأرِهم ... ولو أنه عند الغمام السائرِ

من كلِّ أبلجَ منكباه لواؤه ... بضفيرتيه السمهريّةَ ضافرِ

---

(١) الوتيرة : التريث والإبطاء . وفى الأصل "وثيرة" . (٢) فَرَس بمعنى أفترس ؛ والغابر : الحاضر . (٣) فى الأصل "يولى" . (٤) فى الأصل "محض" . (٥) الكمام جمع كم . (٦) الحاسر : المكشوف الذراعين . (٧) الوشائج جمع وشيجة وهى المشتبكة المتصلة . (٨) الأواصر جمع آصرة وهى العطف من قرابة أو رحم أو صهر .

بَرْدُ النسيم اذا تربّع عنده ... حَرُّ الهجير اذا عرا فى "ناجر"

أَنِسٌ بأسباب الطلاب كأنه ... ولو امتطى النكباءَ(١) غيرُ مُخاطِر

كَلًّا ولا أغنته عفّةُ نفسه ... عن عاجلٍ يُرضى سواه حاضِر

ولقاؤه شهواتِه ببصيرةٍ ... معصومةٍ عنها وذيلٍ طاهِر

نرجو لصالحنا تطاوُلَ عمره، ... تعبٌ رجاءُ ولادةٍ من عاقِر

او خُلّد ابنُ البرّ أو أمِنَ الرَّدى ... لعفافه لم يولد ابنُ الفاجِر

أو كان يَسلم بالشجاعة ربُّها ... لم تَطوِ مقبورا حَفيرةُ قابِر

بالكُرِه فارق سيف "عمرٍو"(٢) كفّه ... وتقلّصت عن رمحه يدُ "عامرِ"(٣)

سقت الغيوثُ "أبا الحسين" ثراك ما ... سقت "الحسينَ" أبالك عينُ الزائر

ومن الغرام وفيه ماءٌ هامعٌ ... منه دُعائى له بماءٍ قاطِر

أبكيك لا ما تستحقُّ، وجهدُ ما ... تسعُ الصبابةُ أن تسيلَ مَحاجرى

وأُشارِك النُّوّاحَ فيك بأنّتى ... أرثيك(٤) فالتأبين نوحُ الشاعِر

وأَمَا وبدرَىْ "هاشمٍ" ولَدَيْكَ ما ... مبقيهما ذكرا له بالداثِر

---

(١) النكباء: الريح انحرفت عن مهبّ الرياح . (٢) يشير الى عمرو بن معد يكرب وهو من شجعان العرب المنتهوين بالبأس فى الجاهلية وقد أدرك الإسلام فأسلم ثم ارتدّ بعد وفاة النبىّ ثم أسلم وقد سأله عمر ابن الخطاب عن الحرب فقال : مرّةُ المذاق ، اذا قلّصتْ عن ساق ؛ من صبر فيها عُرف ، ومن ضَعُف عنها تلف ؛ وسأله عن السيف فقال : ثمّ فارعَنْك أمّك عن الثكل . (٣) يشير الى عامر بن مالك وهو أيضا من شجعان العرب المعدودين وكان يُسمّى "مُلاعب الأسنّة" وسُمّى بذلك لقول أوس ابن حَجَر :

ولاعبَ أطرافَ الأسنّةِ "عامرٌ" ... فراحَ له حظُّ الكتيبة أجمعُ

(٤) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل وقد طاف بنا خاطر ونحن نصحح هذا البيت لا بأس من إيراده وهو

وأُشارِكُ النُّوّاحَ فيك بأنّتى ... فى الشعر فالتأبينُ نَوحُ الشاعِر

إن لا يكونا نسلَ ظهرِكَ فالذى ... نشراه بابنِ الظَّهر ليس بناشرِ (١)

وإذا الفتى ضعُفتْ مؤازرةُ ابنِه ... فى الأمرِ فابنُ الأختِ خيرُ مؤازرِ

أبواك وابناك الفخارُ بأسرِه ... والمجـــدُ يورَثُ كابرا عن كابرِ

لا تحسبَنَّ الموتَ راع حماهما ... فالسارقُ المغتالُ غـــيرُ القاهرِ

أقسمتُ لو لحقاك قبلَ وصوله ... ما كان بينهما عليك بقادرِ

مَنْ مُبلِغٌ حيًّا يُجَمِّعُ عِزَّه (٢) ... غَرْبَىْ حُسامِ بنى "الحسين" الباترِ ،

صبرا ، وإن فُرِكَ (٣) العـــزاءُ فإنّه ... كنزُ الثوابِ ذخيرةٌ للصابرِ

هو حُكمُ عـــدلٍ لا يُرَدُّ وكان ما ... يَبِنُ (٤) القلوبَ لو آنه من جائرِ

حفِظَ العلا لكما مشيِّدُ عرشها ... بكما فلا معمورَ بعـــد العامرِ

واذا جَرَتْ ريحُ الحوادث عاصفا ... فلتنحرِفْ عن ذا الحِضمِّ الزاخرِ

وكفَى حسودَكما الشقىَّ علاجُهُ ... غيظ الهجينِ من العتيقِ الضامرِ

لا غرَّنى منـــه السكوتُ فإنه ... خوفَ العقابِ سكينةٌ فى نافرِ

* * *

واتخذ بعضُ أصدقائه من أولاد الرؤساء الكُتَّاب فى داره بيتا للخَيش (٥) فى وسطه بركة مثمَّنةٌ ، قد نُصِبتْ فيها صومعةٌ للحركات مُربَّعةٌ ، لها أربعُ مناثرَ مجوَّفةٌ فى جوانبها الأربعـــة ، يتوسَّطُها عمودٌ عالٍ فى صورة الأسطوانة ، ينزل اليه المـــاءُ من حَوضٍ

(١) ناشر بمعنى منشور ، وهذا البيت ورد فى الأصل هكذا

إن لا يكونا نسل ظهرك فالذى ... نشراك بابن الطهـــر ليس بناشر

(٢) هذا الصدر ورد فى الأصل هكذا

* من مبلغ حيلى يجمع غره *

(٣) فرك : كُرِهَ . (٤) فى الأصل "جابر" . (٥) قوله : للخيش أى لمروحة الخيش وهى نسيج كشراع السفينة ، يعلقها أهل العراق فى سقف البيت مبلولةً بالماء ، و يعملون لها حبلا يجذبونها به فيهبّ منها نسيمٌ عليلٌ يُذهب أذَى الحرّ .

مُشرِفٍ مرفوعٍ بناؤه على سماء البيت ، مصوّب اليه بالحركاتِ ، حتى اذا استقرّ الماءُ فى قرارِ البركة فاضَ منه ثمَّ من الأربعةِ الجوانبِ فيضا يعلو حتى يكادَ بفضلِ قوته يلحَقُ بسقف البيتِ ، وقد عُملتْ لها تماثيلُ من الصُّفْرِ[1] يُسمَّى كلُّ واحدٍ منها باسمٍ ، فتؤخذُ آلتُها فتركّبُ على ذلك العمود الأوسط ، ثم تُدارُ بحركةٍ من الحركاتِ فترُشُّ الماءَ على سائر من يحويه البيتُ أو يقاربُهُ ؛ فمن التماثيل صورةٌ تُسمَّى "الخَرْكَاة"[2] ، اذا نُصبتْ وأديرتْ تَشَكَّلَ الماءُ عليها بشكلِ "الخَركاةِ" وبقى معلّقا لا يغيضُ ولا يسيلُ حتى تُقطعَ حركتُها ، ويوضع عليها من جوانبها الشموعُ اللِّطافُ المسرَّجةُ ، فتدور فيها من غير أن تطفئها ؛ ومنهنّ صورة تُسمَّى "العَروس" يُجعلُ لها ذلك العمودُ كالكرسىّ ، فتدور راقصةً عليه ، وتُوصَّلُ فى دورانها الماءَ الى رأسها بيدها ؛ ومنهنّ صورةٌ تُسمَّى "الجَمَل" على هيئته ، اذا نُصبتْ سارت مسيرَهُ بالماءِ (١٤٢)
المحرِّكِ لها ، ومنهنّ صورة سَمّوها "الطَّنْبَلَنْب"[3] فى هيئةِ رجلٍ ناشبٍ ، اذا نُصبتْ وأريد بعضُ حاضرى البيتِ بالبلَلِ ، صوّبَ سهمهُ ذلك اليه فأصابه ، فكيفما هرول لينجُوَ منه كان الماءُ تابعا له ما دام فى عَرْصَةِ البيتِ ، ثم يخرج الماءُ من هذه البركة الى بُستانٍ فى صحن الدارِ متناهٍ فى الحُسْن ، فيه صنوفُ النخلِ والسَّرْوِ وغير ذلك من الشجر وأنواع الرياحين والزَّهر ، ما يروق مثله ! وهواءُ هذا البيت مجلوبٌ من "بادَهَنْج"[4] قد شُيِّد على سطحه مفتوح الجناحين لمهبِّ الجَنوبِ والشَّمالِ ، فدخل

(١) الصُّفْر : النحاس . (٢) الخركاة [كما ورد فى محيط المحيط] بالفارسية القبة التركية ويقال فى تعريبها : خَرْقَاهَة ، وقد وردت فى شعر مهيار بالهمزة كما سيجىء . (٣) الناشب الذى يحمل النُّشَّابَ وهى السهام . (٤) البادهنج : المَنفَذُ الذى تجىء منه الريحُ ، وسماه بعضُهم "راروق النسيم" وقد قال فيه أبو الحسن الأنصارىّ

ونفحة "بادهنج" أسكرتنا وجدتُ لروحها بَرْدَ النعيم
صفا جَرْىُ الهوا فيه رقيقا فسمَّيناه "رارورَق النسيمِ"

مهيارُ رحمه الله على هذا الصديقِ ذات ليلةٍ ، فسأله التعريجَ الى هـذا البيتِ والنظرَ الى عجائبه ففعل ، ولما نُصبتْ التماثيلُ وجاءت النوبةُ الى المعروفِ "بالطنبلنب" رُكِّبَ نحوهُ وصُوِّبَ إليه فبلَّ ثيابَه ، وكان فعلُه فى قلَّة نفعِ الفرارِ منه على ماقدمناه ؛ فعند ذلك سئل ذِكرَ البيتِ وما حواه ووصفَ الدارِ والبستانِ والبركةِ والبادهنج ، فقال واصفا الحال بما يزيد حلاوةً ، ويروق موضعُ الإصابة فيه عند مُشاهدةِ الموضع ، ومازحا للرَّجُلِ بغرامة ما بلَّه من ثيابه

نديمى وما النـاسُ إلا السُّكارَى ... أدِرْها ودعنى غـدًا والخُمـارا
من العجـزِ تركُ الفتى عاجلًا ... يَسُـرُّ لأمرٍ يُخافُ انتظارا
وعَطِّلْ كؤوسَـك إلا الكبيرَ ... تجِدْ للصـغيرِ أُناسا صِـغارا
وقـرِّبْ فتًى مائةٍ (١) أو يزيـ ... ـدُ قد أُكمِلَ الشيبَ إلا الوقارا
تُسِـرُّ المَسَـرَّةَ أحشـاؤه ... ويُـبْرِزُ للعينِ طِينا وقَارا
لصوذِ سـواه رأيتُ الغـلا ... مَ ينفُضُ عن كتِفَيْه (٢) الغُبارا
وذى مِـبزلٍ (٣) كرنادِ المكبِّ ... يَقـدَحُ بالبَزْلِ منـه (٤) شرارا
فسلَّ من النـارِ فى وجهه ... لسـانا ، فأمسك فاهُ حـذارا
وخادعُه عن خَلوقيَّـةٍ (٥) ... تُذوِّبُ فى كأسها الجُلَّنارا
جَنَتْ فقرَ شُرَّابِهـا المسلمين ... وأغنت "بُغمَّى" (٦) اليهودَ التِّجارا
عَقَرْنا البُـدورَ (٧) لهم فى المهو ... رِ حـتى جلَوها علينا عُقارا
يطوف بهـا عاطـلُ المِعصَمَيْـ ... ـنِ يُلبِسُـهُ الجامُ منها سِوارا

(١) يريد بفتى مائة : الدَّنّ . (٢) فى الأصل "كتفيه" . (٣) المبزل : الحديدة التى يفتح بها الدنّ . (٤) قال القاموس : شِرار ككتاب واحدته شرارة بكسر الشين وورد بهذا الضبط أيضا فى محيط المحيط وفى أقرب الموارد . وقال المرتضى : الصواب أنه كسحاب وهو ما تطاير من النار .
(٥) خلوقية : نسبةٌ الى الخلوق وهو نوعٌ من الطِّيب . (٦) غُمّى : قرية من نواحى بغداد .
(٧) البدور جمع بَدْرة وهى الكيس يسع عشرة آلاف درهم .

شفيقٌ على الحبِّ من غيره ... اذا قلت : ما أحسن البدر غارا
ولا ومُقبِّلِهِ ما فَرَقْتُ ... أريقتُه الخمرُ أم ما أدارا
هنيئا لِلَهْوِيَ إنّى خلعـ ... ـتُ حلمِى له وتركتُ الوقارا (١٤٣)
وصرتُ فتَى غَبَقاتِ(١) الملوك ... عشيًّا ، أخا النشواتِ ٱبتكارا
وِدادِيَ والدهرُ ما دامَ [دامَ](٢) ... وشعرِيَ والنجمُ ما سارَ سارا
وقِبحاءَ من دورهم زرتُها(٣) ... وأخفِق بها جَنّةً أن تُزارا
تَاجلَجَ فى وصفها المحدثون ... وحُدِّثَ "رضوانُ" عنها فحارا
تعرَّبَ قاسمُها عادلا ... فخطَّ وتحسبه العينُ جارا
صُحُونا طِوالا كما تقتضى ... شجاعتُنا وحصونا قِصارا
وشَقَّ لبستانها عن ثَرًى ... اذا طلعَ النبتُ فيه أنارا
وقد بِتُّ(٤) فى ظلِّ شجرائه ... عُيونَ الأذَى رِقبةً(٥) وٱستتارا
تخفَّرَ(٦) منها بمسلوبةٍ ... سوى ورَقٍ أُلحِفَتْهُ(٧) إزارا
من الهيف حين يجورُ النسيمُ ... على غصنها لا تُطيق ٱنتصارا
نحولٌ عَرَضْتُ له بالسِّمانِ ... وصُغرَى تجنَّبتُ منها كِبارا
ومنشورةٍ سترَتْ نفسَها ... فخاطت قميصا ولاثت خمارا
وعزَّتْ فصانت سوى ساقها ... وما إن أباحته إلا ٱضطرارا
تُشمِّر عنه جلابيبَها ... لعادته أن يخوضَ الغِمارا
فكادت تُواريه ضنًّا به ... ومن حسنها أنّه لا يُوارَى

(١) غبقات جمع غَبَقة وهى شُرب العشىّ .
(٢) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل و يقتضيها السياق .
(٣) فى الأصل : "دونهم" .
(٤) فى الأصل "بات" ولا نظنها تؤدى المعنى .
(٥) فى الأصل "فيه" وهو تحريف .
(٦) تخفّر : ٱستجار ، وفى الأصل "تحمّر" .
(٧) فى الأصل "ألحفته" .

تُشكّكُني وهي طـوع الريا ... ح تَتْبعُها يَمنَـةً أو يَسـارا
أتدنـو لتُسـعفَني بالعنـا ... ق في مثلها أم تصدُّ ازورارا ؟
وتجلو عليـك بنـاتِ الفسيلِ (١) ... اذا كَسَتِ السَّـعَفاتُ الثِّمارا
غـدائرُ غيـدٍ يُضفّرنَهـا ... وتأبى عليهنّ إلا انتشارا
جلبنا له الماء من شاهقٍ (٢) ... جزانا بحَسْبِ الصعود انحدارا
وما سال حتى أسلنا الجَبينَ ... ولا عَزَّ حتى أهنّا النُّضارا
اذا ما تحلّق مستعليا ... تعلّقَ بالطبع يبغي الفرارا
فثَـوِّرَ نَحْسـا اذا ما نطقنَ ... بأخبارِهِ خِلتَ نقعا مُثارا
اذا جادهنّ ندًى جُـدْنَهُ ... وإن فرَّ طِرْنَ إليه نِفارا
هوِينَ الأمانةَ حتى اجتهـد ... نَ ليقضينَهُ ماءَه المستعارا
تَروسُ (٣) عليهنّ في وسْطِهنّ كُبرَى تعـولُ بناتا صِغارا
برزقٍ يُخيَّلْنَ للناظرين ... صوامعَ من حوضها أو مَنارا
اذا سدَّدتْ لطعانٍ قَنًا (٤) ... حذفْنَ اليها نُصولا طِرارا
حوتْهنّ معجـزةُ الآيتين ... تجـودُ الحيا وتُمِـدُّ البحارا
فمن بين خَرْكاءَ مضروبةٍ ... على تلعـةٍ حَمَلتْها اقتـرارا
تـولّى مَجاريَها فوقها ... من الماء سمحٌ كريمٌ نجـارا
اذا ما أُديـرَ لها مرّةً ... لتُعجِبَ جادتْ فدارتْ مرارا
لها آيةٌ لم تكن قبلَها ... ولكن ظَهَرنا عليها اقتـدارا
ترى ظلَّها جامـدًا مائعا ... وتحمِـلُ ضدّين ماءً ونارا

(١) الفسيل جمع فسيلة وهي الصغيرة من النخل ويريد ببنات الفسيل النخل . (٢) الضمير في "له" عائد الى البستان في قوله * وشقّ لبستانها عن ثَرى *
(٣) تَروسُ : تتبختر . (٤) في الأصل "فى" .

ومثل العروس "عروسٌ"[1] تديمُ ... يداها على منكبيها النّثارا

اذا ما جَلَوها أبتْ حِشمةً ... بكرسيّها أن تُطيق القرارا

طلبنا لها الكُفءَ من قومها ... فعزّ وكان سوى الكُفء عارا

فعدنا نزرّ عليها السُّجوفَ[2] ... فترضى بها عفّةً واختفارا[3]

وكالظبي يُظلَم باسم الجمال ... فيطغى إباءً ويُغضي اغتفارا

ويُزبِدُ فوه لُغاما[4] اذا ... تفرّق عن شَفَتيه اسطارا

بسبروياً[5] اذا ما اغتدت ... كيودُ المطيّ عطاشاً حرارا

ولولا الذي فعلَ "المطّلبيّ" ... لقد أنجدَ المدحُ فيه وغارا

ولكنّه خافرٌ للذما ... مِ جاورتُهُ فأساءَ الجوارا

بغاني فلم أنجُ مع نهضتي ... ورحبِ خطاياي[6] منه فِرارا

رماني فأصمى بسهمٍ له ... يدور مع المتّقي كيفَ دارا

اذا هو فوّقه للثيا ... بِ ألقى جروحا تُضلُّ السِّبارا

فأردى ردائي وجاءت اليـ ... ـك دُرّاعتي[7] تبتغي منكَ ثارا

فتيلي لديكَ فلا تذهبنّ ... عليكَ دماءُ ثيابي جُبِرّا[8]

وبيت اذا الدهرُ ضامَ الشتاءَ ... تعوّذَ منه به فاستجارا

صحبتُ[9] الخريفَ به في المصيف ... وذكّرني الليلُ فيه النّهارا

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وربما تضيها السياق لقوله في النثر الذي تقدّم وصفا لما قيلت بسببه هذه القصيدة : "ومثل صورة تسمّى العروس" . (٢) في الأصل "نريها" . (٣) في الأصل "واحتقارا" . (٤) اللغام : زبد أفواه الإبل . (٥) في الأصل "عويا" . (٦) الخطاء جمع خطوة ، وقد ورد في الأصل هكذا "روحت خطاي" . (٧) الدّراعة : جُبّة من صوف .

(٨) هذا البيت ورد في الأصل هكذا

فتيلي لديك فلا تذهبن ... عليك دما ثيابي حبارا

(٩) في الأصل "صبحتُ" .

وأهـــدَى الهواءَ له ناشـــرٌ جناحيْن لو حَمَـلاه لطارا
تنصَّتَ للـــريح مستفهما بأذْنيْن لا يحملان السِّرارا
اذا عَـــبَرَتْ مطلقاتُ الريا ح يسلُكْنَه ظِلْنَ فيه أَسارى
فتلفِظُ منها السُّمومُ(١) الشّـــوارَ ويُلقى الينا النسيمُ الجِبارا(٢)
غرائبُ روَّضتَ يا آبن الكرام برأيك منها الشَّموسَ النَّوارا(٣)
وباهلتَ بالأرض فيهـا السما ءَ فآعترفت نجلا وآنحصارا
وقبَّحتَ فى جنب تحسينها(٤) بأعين أربابهن الديارا
فلو "صاحبُ السِّدِّ"(٥) لاحت له تبيَّن فيما بناه العَـــوارا
وقيستْ "لكسرَى" بإيوانه قَلاَهُ ولم يُعطَ عنهـا آصطبارا
أرتـــك بدائعَهـا هِمّـــةٌ تُهِينُ عليـك العظـيمَ آحتقارا
وفضْـــلٌ يُجَلِّيك(٦) يومَ الرِّها نِ مَنْ لا يُبِـــدُّ(٧) ومَنْ لا يُجارَى
فأُقسِمُ بالله لو أنصـــفو لك قِسْما وردُّوا الىَّ الخيارا
لما كنتُ أرضَى لك الخافقيْـ ـن مُلكا ولا جَنَّةَ الخُلد دارا

* * *

وأنفذ اليه أبو القاسم سعدُ بن الكافى الأوحد هديةً مقترنةً بهديةٍ من أبيه، وكتابا يعتذرُ فيه من التقصير عمّا فى نفسه من قضاء حقّه، فكتب اليه

بُلِّغْتُ صبرا فقـالت : ما الخبرْ قلتُ : قلبٌ سِيمَ ذلًّا فنفـــرْ
لا تعـــودى فى هَوًى ظالمـــةٍ ربّما عاد بحـــلمٍ فانتصرْ

(١) السُّموم جمع سَمٍّ وهو الثقب . (٢) الجِبار : الأثر . (٣) الشموس النوار : الممتنعة النافرة . (٤) فى الأصل "تحصيلها" ولو راعينا التحريف لعلها تكون تحصينها . (٥) فى الأصل "البيد" . (٦) فى الأصل هكذا "وفصل تحملك" . (٧) فى الأصل "يند" .

نظرةٌ أعرضتُ عنها أعقبتْ ... غضبا آذنَ للقلب النظرْ
أرهفتْ سيفين فى أجفانها ... كلَّ مَنْ غرَّا يبتْ على غَرَرْ(١)
قسمتْ مَن جرحه لا برا(٢) ... يا طبيبى متْ ودائى فى الحَوَرْ
أرسلتْ ليلةَ صدتْ طيفَها ... ناظرا أين رقادى من سَهَرْ
قال : حيانى ، فقالت : نائما ... طرفُه؟ قال : نعم ، قالت : غَدَرْ
يا هوى حسناءَ! ما شئتَ لها ... من فؤادى ، غيرَ ذلٍّ وخَوَرْ
ربَّ يومٍ باهلتنى بالصِّبا ... وصَغارٌ عندها حظُّ الكِبَرْ
وتنكَّبتُ(٣) مُدِلًّا وَفْرةً(٤) ... تَشِرَ العنبرَ عنها مَنْ ضَفَرْ
فرأت شَيْبا فقالت : غُيِّرتْ ... قلتُ : ما كلُّ شبابٍ فى الشَّعَرْ
غُيِّرت بيضاءَ فى سودائها ... قلتُ : مهلا! آيةُ الليلِ القمرْ
ما لغزلانٍ تصافينى الهوى ... ما استطاعتْ وأجازيها الكَدَرْ(٥)
أنِستْ إذ يئستْ من قَنَصى ... فاستوى ما قرَّ منها ونفَرْ
وهل "الزَّوراء" إلا وطنٌ ... يخدعُ الشوقَ وفى أخرى الوطَرْ؟
يا نداماىَ بها النِّسيانُ لى ... ولكم منِّى حِفاظى والذِّكَرْ
كلَّ يومٍ أنا أبكى منكمُ ... صاحبا بالأمس يَقْفانى ومَرّْ
إنّ فى "الرَّىِّ" و"سعدٍ" عِوضًا ... كلَّما قايستُ طابَ وكَثُرْ
سوف أنجو راكبا إحسانَهُ ... كلُّ مركوبٍ سوى ذاك خَطَرْ
ساريا أجنُبُ كُبْرَى هِممى ... أطلبُ المرعَى لها حيثُ المطَرْ
خاب من رام المعالى حاضرا ... والأمانى فى كَفالاتِ السَّفَرْ

(١) هكذا بالأصل ، وعلى هذه الصورة يكون قد دخل على هذا الشطر "الكفّ" وهو واقعٌ فى كلمة "عَلَى" والكفّ حذفُ السابع الساكن وهو عيبٌ .
(٢) يريد لا برأ .
(٣) تنكّبتُ : ألقيتُ على منكبى وهو مجتمع رأس الكتف والعضد .
(٤) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .
(٥) فى الأصل "وإجارتها" .

ما الغِنَى والمجدُ إن زرتَ فتًى ... ذا تَـاهٍ وهـــو نـاءٍ لم يُزَرْ؟
لا تباعـــدْهُ الليـالى إنّه ... أملٌ بين "جُمادَى" و"صفَرْ"
بأبى السـافى وبالغيثِ صدًى ... والغنَى الحلوَ الجنَى والشُّهدُ مُرّْ
عَلَّمتْ أعـــداؤه أمـــوالَه ... (١)لِمَمًا (٢)يمنعها أن تَســـتقِرّْ
يافعٌ مكتهلٌ من حلمـــه ... للصِّبا السنُّ وللرأى (٣)الكِبَرْ
يا أبا "القاسم" (٤)صـــابتْ نِعمةٌ ... (٥)لك لم يعـــدُ بهـا الغيثُ النَّهِرْ
لم أزلْ أصـــبرُ عامـــا أنه ... أبدا يُعقِبُ خيرا من صَـــبَرْ
(٦)ناظـــرا عادَكُمُ فى مثلها ... جَنَّـــةٌ لى من عذابٍ منتظَرْ
(٧)كان جُرحا جائفا فاندملتْ ... فرحـــةٌ منـــه وكَسرٌ فجُـــبرْ
يا ملوكَ "الرَّىِّ" هـــل داركم ... أرضُ طُرًّا أم تعولون البَشَرْ؟
وَسِعَ النـاسَ جميعا جـــودُكم ... فاستوى من غابَ عنكم وحَضَرْ
واصلاتٌ شاعرَهم نُعمَى لكم ... لم تدعْ مفحَمَهم حتّى شَـــعَرْ
(٨)حلِّ يا "سعدَ العلا" (٩)بهماءَها ... من قَبولٍ بحُجولٍ وغُرَرْ
وآجلُ لى أُخرَى على الكافى متى ... تشتمتْ منـــه حياءٌ وخَفَرْ
عرفَتْ منّـــكَ فيما قبلَهـا ... فأتتْ واثقـــةً تقفـــو الأثَرْ
حاجـــةٌ تمّتْ ووافَى حظُّها ... حين نبَّهتُ لها منك "عُمَرْ"(١٠)

(١٤٥)

(١) اللِّمم : الجنون . (٢) فى الأصل "تمنعها" . (٣) فى الأصل "والراى" .
(٤) فى الأصل هكذا "باباقسم" . (٥) صابت : مطرت . (٦) عاد جمع عادة .
(٧) جائفا : بالغا الجوف . (٨) فى الأصل "خلّ" . (٩) البهماء : السوداء .
(١٠) لعلّه يشير بذلك الى قول بشار بن برد مادحا عُمَر بن العلاء :

اذا دهمتك عظائمُ الأمور * فنبِّهْ لها عُمَـــرا ثمّ نَمْ

وفى رواية : اذا أيقظتك حروبُ العدا * فنبِّهْ لها عُمَـــرا ثمّ نَمْ

* * *

وكان فخرُ الملك ليلةَ أنشدَه القصيدةَ اللاميةَ التى أولُها

* أروم الوفاءَ الصعبَ بالطابِ السهلِ *

خلع عليه خلعةً نفيسةً، وأتحفه ببعضِ ما فى مجلسه من التحايا والألطاف، ثم وصل فخرُ الملك الى حضرة أمير المؤمنين القادر بالله رضوانُ الله عليه ستخرجا خلعةً ولواءً للملك سلطان الدولة، فقُدِّم وأُكرِمَ وبلغَ من التميز الى غايةٍ لم يُدركها أحدٌ من نظرائه، ونُوِّه باسمه فى الخطاب والتلقيب، وقُلِّد سيفا مُحلًّى بذهبٍ تشريفا له، فقال يذكُرُ ذلك، وبهنئه بمكان المنحة، ويذكُر ما أتاه اليه، ويشكره عليه، ويسأل مُعاودة الرسم فيه، وأنشدها فى يوم المهرجان

فَكاكُكَ أيّها القلبُ الأسيرُ ... غدًا، لو قال حادى الركبِ: سِيرُوا

عسى الأظعانُ تُطلِعُ إن أثاروا ... هلالًا كان تكفُره الخدورُ

وإن أخذوك أنتَ وخلّفونى ... فسِرْ معهم فذاك لهم يَسيرُ

تعلّقهم عساهم أن يُذِمُّوا[1] ... عليك من الصبابة أو يُجيروا

لِمَن شَدَنِيّةٌ[2] سبقتْ عِجالًا ... فما تدرى أتقصِدُ أم[3] تجورُ؟

يخوض الليلَ سائقُها أنيسا ... بآيةِ: لاحَ بين يديه نورُ

وكيف يخافُ نيةَ الليلِ رَكْبٌ ... تَطلّعُ من هوادجه البدورُ

يناجزُ فى الوَداعِ معاتباتٍ ... لهنَّ كبودُنا ولنا الزفيرُ

أكنتَ معى بعينٍ أم بقلبٍ ... "برامةَ" والعيونُ إلىَّ صُورُ[4]؟

---

(١) أن يذموا عليك: أن يأخذوا عليك الذمة. (٢) الشدنية: الناقة المنسوبة الى موضع باليمن أو الى فحل من كرام الإبل. (٣) فى الأصل "أر". (٤) صور: مائلة.

غداةَ أقولُ — وٱبتهجتْ جِباهٌ[1] — عطفنَ علىّ وٱبتسمت ثغورُ — :
أَمَا من قُبلةٍ فى الله؟ قالوا : متى حلّتْ لشاربها الخمورُ؟
وقارَكَ وٱلتفتْ تَرهُنَّ بيضًا، كَبِرتَ! فقلتُ : مسكينُ الكبيرُ
ألَا يا صاحبىَّ تمليّانى، أطاعَ إبايَ[2] وٱعتدلَ النُّفورُ
أرى كبدى وقد بَردتْ قليلا، أماتَ الهمُّ أم عاشَ السرورُ؟
أم الأيامُ خافتنى لأنّى "بفخر الملك" منها أستجيرُ؟
ذرانى، عاد إملاحى سيرًا ويُقعِمُ[3] بعد ما نضب الغديرُ
طغَى أملى وطال قصيرُ باعى ويَنْمِى الشىءُ أوّلُه حقيرُ
ولا تتعجّبا من خِصب رَبْعى فربّى بعضُ ما جاد الوزيرُ
ولكن بإيعاهُ[4] عن لسانى فإنّى حين أعجِزُ أستشيرُ
ظهورُك آيةٌ لله صحّتْ بها الأديانُ وٱشتفت الصدورُ
وزالت شُبهةُ المرتابِ[5] فى أن تُكشّفَ عن ضمائرها القبورُ
رآك ومِتُّ الآمال حىٌّ بجودك والندَى الأعمى بصيرُ
فآمنَ "بالمسيح" وآيتيه وأنّ نشأتْ من الطّين الطُّيورُ
وأيقنَ أن "موسى" شقّ بحرا بأن شُقّت بكفّيك البحورُ[6]
ولمّا أن أتيتَ على فتورٍ وبابُ ضلالة الأمم الفتورُ[7]،
وأبصرَ قبلك الماضين مرُّوا ولمّا تنتظِمْ بهم الأمورُ،

(١) فى الأصل "حياة" . (٢) يريد إبائى . (٣) فى الأصل "نضت" .
(٤) فى الأصل "بانعاه" . (٥) فى الأصل "المرتات" . (٦) يشير بذلك الى قوله تعالى (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى) . (٧) يشير بذلك الى قوله تعالى (فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ) .

صبا "لمحمّد" وأطاع فيه ... وقال: الرُّسْلُ خيرهم الأخيرُ
أقول بمعجزاتك لا غُلُوّا ... وكاتمُ نعمةِ المعطى كَفورُ
إذا الأسماء أُلزمتِ المعانى ... فأنت الحقُّ والوزراءُ زورُ
رأيناهم وكلُّهمُ شُكولٌ ... مُصلِّيهم(١) لسابقهم نظيرُ
بكَ انتصر الملوكُ [وأنتَ](٢) فيما ... دَعوْك لنصره نِعمَ النصيرُ
فأنت الليلةُ القمراءُ بانت ... على الأخواتِ واليومُ المطيرُ
حميتَ كبيرَهم إذ حُمَّ وقتٌ ... تحوطُ به وقد كَبِرَ الكبيرُ(٣)
وماتت دولةٌ فاقتْ أخرى ... فلا موتٌ عصاك ولا نشورُ
وباشرتَ الخلافةَ فاطمأنّتْ ... على أمٍ ومطلبُه عسيرُ
ويومُ(٤) العهدِ والوافى قليلٌ ... أطاعك منبراها والسريرُ
ألينَ عليك مُعجَمُها المُعاصِى ... وخَفَّ اليك مجلسُها الوقورُ
درَى "الفهرىُّ" حين أسفَّ قومٌ ... وطِرتَ بأىّ قادمةٍ تطيرُ
رآك بهَدْيِه بجزاك خيرا ... وقد يتفرَّس الرجلُ البصيرُ
وأعطاك التى نشزتْ(٥) قديما ... وإن هى أُغليتْ فيها المهورُ
وأفرشك الكرامةَ لم يدُسْها ... جبانٌ(٦) فى الملوك ولا جسورُ
مقالا فى اصطفائك واعتقادا ... يُحيلُ على اللسان به الضميرُ
وقلَّد سيفَه بيديه سيفا ... طويلُ نجادِه عنه قصيرُ
حساما كان "للمنصور" حِصنا ... ولم يك للمدينة بعدُ سورُ

(١) المُصَلِّى: الجواد يأتى فى الحلبة ثانيا. (٢) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجّحناها ليستقيم بها المعنى والوزن. (٣) كبر: أسنّ وهرم وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

حميت كبيرهم أو حمّ وقتٌ ... تحوط أو كبر الكبيرُ

(٤) هذه الكلمة فى الأصل "يو". (٥) فى الأصل "نشرت". (٦) فى الأصل "جنان"،

وصاحَبَ بعـــده الخلفاءُ تِرْبا ... رفيقا حين يجلِسُ أو يثورُ
تـــذلُّ له المنابرُ يرتقيها ... وتألفُـــه المناكبُ والحجورُ
وما كفؤٌ له لولاك كفؤا ... ولكنّ الذُّكورَ لها الذُّكورُ
أميرُ المؤمنـينَ يقول : خـــذْهُ ... فإنّـــك فى تقـــلُّده الأمـــيرُ
ولو عَقلتْ "عُقَيْلٌ" شاورتنى ... فكنتُ برأيِ ناصحها أشيرُ
فررتِ مكانَ لم تَجِـدِى ثباتا ، ... ويقتُـلُ ذِكرَهُ البطلُ الفَرورُ
إذنْ فتزحزحى عن دارِ مُلْكٍ ... لغـيرِك ضَرعُهـا ولكِ الدُّرورُ
أغرَّكِ "بالجزيرةِ"(١) ما أغرنا ! ... نظارِ فقـــربَ ما ترتجع المغـيرُ
فـلا تتـوهَّمى بالشـــرِّ لينـا ... فقـــد يتألّقُ النَّصـلُ الطـريرُ
تخطَّتْها ـ وإن وسِعتْكَ ـ مَرعًى ... فكم دارٍ تُبـيرُ(٢) كما تُمـيرُ(٣)
ويقطَعُ عُضوَه المرءُ اضطرارا ... وإن أَلِفتْ مَنابتَها الشُّـعورُ
سمعتَ بشائرَ الظفَـرِ استمعْ لى ... أُعِـــدْ خبرًا وأنت به خبـيرُ
أنا المولى صنعتَ اليـــه نُعمَى ... أخى فيها حســـودٌ أو غيورُ
جذبتَ من القُنوع بها ذراعى ... فطارت دون أنحَصِىَ النسـورُ
نفائسُ لم ينلْهنَّ اقـتراحُ الـ ... ـمُنَى فيما تُسَـدِّى أو تُنـيرُ(٤)
بَرَدْتَ عـلى الزمان بها فؤادى ... وكان عليـه مرجلُه يفورُ
وها هى نالت الأيّامُ منها ... فجـدِّدْ ، أخلَقَ الظِّلَ الدُّثورُ
يزور المهرجانُ برسم قـومٍ ... ولى رسمٌ يشـوق ولا يزورُ
وقوم يكرمون على الأَسَامِى ... فتُزْجَى الحُجْبُ عنهـم والسـتورُ

(١) نظار كقطام بمعنى انتظرى . (٢) تُبـــير : تُهلك . (٣) تُمـــير : تُطعم .
(٤) تُنير : تُلحم .

يقول الشعرُ إن حضروا وغبنا ... فدى الغُيَّاب (١) ما قال الحُضورُ
يكرِّرُ غابرٌ (٢) ما قال ماضٍ ... وقِدْمًا أخلقَ المعنَى الكُرورُ
وأحلَى القولِ أسلمُه منالا ... فما هذى الشقاشقُ والهديرُ
تطبَّعتِ القرائحُ واطمأنَّتْ ... فلِمْ يتكفئونك يا صبورُ
بهذا الحكمُ حين تحالباها (٣) ... نقائضَ حاز زُبدتَها "جريرُ" (٤)

* * *

واتصلتْ من مجد المعالى مؤيّد الملك رحمه الله مقاماتٌ فى وصفه، وأفعالٌ جميلةٌ فى الثناء عليه، ومعاضدةٌ على بعض الناس ممن اعتمد أذيَّته، وعنايةٌ حاضرةٌ وغائبةٌ بشئونه يُؤثر بعضُها من مثله ويُكبِّر، وما زال مؤثِرا على قديم الوقت لأن يخصّه بشىء من شعرٍ، موافقا لما يبعثه على ذلك، فقال يشكره ويهنّئه بعيد الفطر، ويُعرِّض بذكر الرجُل الذى آذاه، وأعانه عليه

ينام على الغدر من لا يَغارُ ... ولا يُظلَم الحرُّ فيه انتصارُ
علَىَّ لعينىَ اختيارُ الحبيبِ ... وإن خانَنى فإلىَّ الخيارُ
ملكتُ فؤادى على "بابِلٍ" ... وعقَّ أخاه الفؤادُ المُعارُ
وفيمن سمحتُ به للخُمو ... ل أبيضُ ليلٍ سُراه نهارُ
اذا شكرتْ حُقْبُه (٥) خصرَه ... تظلَّم من معصَميه السِّوارُ

---

(١) فى الأصل "قدا". (٢) الغابر: الحاضر والماضى وهو من الأضداد والمراد به هنا الحاضر. (٣) يريد: بهذا كان الحكم، ويريد بالتثنية فى "تحالباها" جريرا والفرزدق وكلاهما من كبار الشعراء فى دولة بنى أمية وكانا يتهاجيان وقد وُضع فى أهاجيهما كتابٌ اسمه "نقائض جرير والفرزدق".
(٤) النقائض جمع نقيضة وهى أن يقول شاعر شعرا فينقض عليه شاعر آخر حتى يجىء بغير ما قال، فيقال هذه القصيدة نقيضة تلك التى قالها فلان ومنه "كتاب نقائض جرير والفرزدق" المأثر ذكره وفى الأصل "نقائص". (٥) الحقب جمع حقاب وهو شىء تشدّه المرأة على وسطها وتعلّق به الحلى.

وبدرٌ وما عُـدَّ من شهره ... سـوى هجـره والتجنّي سِـرارُ
تطلّـعَ يُتبِعـنى مقلتيـ ... ـه مختمرا من حُلاه الخِمارُ
وكنتُ الحليمَ وفى مثلها ... تخفُّ الحلومُ ويهفـو الوقارُ
أُحبُّ الجفـاءَ عـلى عـزّةٍ ... ولا أحمل الوصلَ والوصـلُ عارُ
قضيتَ وتهوَى، ويرضَى الفـتى ... بطيفٍ يزور وربع يُـزارُ
وهبّتْ تـلوم عـلى عفّـتى ... وتحـذر لو قد كفاها الحذارُ
تقول : القناعـةُ موتُ الفـتى ... اذا أُلِفتْ والحيـاةُ اليسـارُ
وما الناسُ — لو أنصفتنى الحسا ... بَ — والأرضُ إلا صديقٌ ودارُ
وما آرتبتُ حـتى رأيتُ اليمي ... نَ تُعقَد فى الحقّ عنهـا اليسـارُ
وتَطمعُ بالشـعر لى فى الغنى، ... متى نَصـح الطمعَ المستشـارُ؟
ولم تدرِ أنّ المساعى الطوا ... لَ آفتُهن الحظوظُ القِصارُ
وما علمُ طبّـك من علّتى ... وصـبرىَ والكرمُ الإصطبارُ
اذا لم يبينْ[1] أسًى أو أُسًى[2] ... فكيف يَبينُ غنًى وآفتقارُ
خَـبرتُ رجالا فما سرّنى ... عـلى الودّ ما كشفَ الإختبارُ[3]
ولمّـا غلِقتُ برهن الوفاء ... لهم تركونى "بنجدٍ" وغاروا
فلا يُبعـد اللهُ من ظلمهـم ... أخلّاءَ حَصّـوا جَناحى وطاروا
وجرّبتُ حظّى بمـدح الملوك ... مِرارا وكلّ جناهـا مُرارُ[4]
وكم من مُقامٍ توقّـوتُ فيـ ... ـه طاروا له فرحا وآسـتطاروا

---

(١) يبينْ : من قولهم : بَيَنَ الصبح لذى عينين بمعنى بان . (٢) الأسى بالفتح : الحزن ، والأسى بالضم جمع أسوة وهو ما يتأسى به الحزين . (٣) فى الأصل "الآختبار" . (٤) المرار : شجر مُرّ اذا أكلته الإبل قلصت شفاهها .

وخفَّتْ مسامعُ هنَّ الجبالُ ... وجفَّتْ أنامـلُ هنَّ البحارُ
وأخـرَى ولم يأتِ نفـعُها ... ويالبت لم يأتِ منها ضرارُ
اذا ما دعوتُ "زعيمَ الكفا ... ةِ" أدركنى الماءُ والحطبُ نارُ
وقام لها ناهضَ المنكبيْن ... يُقلِّصُ عن قدميْه الإزارُ
اذا خاض نَقْعَىْ حِمًى أو حِجًا ... تفـرَّج عن حاجبيْه الغبارُ
كريمٌ تبرَّعَ بالنصـر لى ... وبالخيل من دون نصرى انتشارُ
أَبَى أن أضامَ وردَّ الفِرارَ (١) ... علىّ وأقصى سلاحى الفِرارُ
بلا قَدَمٍ تتقاضاه لى ... فتُرعَى له ذمّةٌ أو ذِمارُ
بلى! فى التجانس حقٌّ جناه ... علىّ، وجارُك بالجنس جارُ
عجبتُ لباغىٍّ أن أسترقَّ ... "وكسرَى" أبى ولسانى "نزارُ"
أرادَ لنقصٍ به بذلَهُ ... وربحَى فى بيع عِرضى خَسارُ
أمانٍ (٢) أصابت له فى سواى ... وخابت معى والأمانى قِمارُ
دمُ الفضلِ ثارَ به أن يُطَلَّ ... فتًى لا ينام وللمجدِ ثارُ
تقولُ اذا الألسنُ المطلقا ... تُ قيَّدها حَصَرٌ وانكسارُ
يُرَى قَوْلُهُ واصفًا غَوْرَهُ ... وهل يصفُ النارَ إلا الشَّرارُ
كفى الدولتين عناءَ "الحسيـ ... ـن" مَن يُستشارُ ومَن يُستجارُ
وقُلِّبتا واليه مصيـ ... ـرُ أمريْهما وعليه المَدارُ
وقمتَ ودون المقام الحميدِ ... مزالقُ يصعُبُ فيها القَرارُ
وقبلكَ قد جرَّبوا واجتَنَوا ... وبعدَك وانتصحوا واستشاروا
وحلَّوا بسيماك مَن جرَّدو ... ه لو قُطِعتْ بالحُلِىِّ الشِّفارُ

(١) فى الأصل "القزار". (٢) فى الأصل "أمانى".

فـــذاك مُدِلٌّ عـــلى عجـــزه ... يُـــؤمِّرُ وهـــو عِيالٌ يُمَارُ
طريرُ العِيانِ صدىُّ اللســانِ ... خُطَا لفظِـــه خطأٌ أو عِثارُ
اذا نشر الكِبرُ أعطافَـــه ... طوت بشرَه الغَـــرَماتُ(١) الصِّغارُ
لثـــوب الرياســـةِ ضيقٌ عليـ ... ـه مع وُسْـــعِ أثـــوابِه وانْشمارُ
غريبٌ اذا أنت فيهـــا انتسبـ ... ـتَ أدنَى به نسبٌ مســـتعارُ
جزتك عن المُلكِ يومَ الجـــزاء ... وعن فخـــره يومَ يُجزَى الفخارُ
غوادٍ من الحمـــدِ والإعترافِ ... غوارفُ من كلِّ عذبٍ غِزارُ
تجـــودك نَعماءَ تزكو النفـــو(٢) ... سُ(٣) فيهـــا وتَغْـــنَى عليهـــا الديارُ
وعـــنِّى. ســـوائرُ إما تحـــطُّ الرِّ ... واةُ وقاطنـــةٌ حيث ســـاروا
عـــذارَى يُحلِّى لهنَّ الجمـــالُ ... ويُخلِعُ فى حبِّهنَّ العـــذارُ
يُجَمِّلُ ما نشرَتْ من علاك ... عيابٌ(٤) مـــتى نشرتْهـــا التِّجارُ
اذا حَـــبَّرَتْ أمهاتُ القـــريـ ... ـض أخبارَهـا وبنـــوه الكبارُ
تمنَّـــوا بجهـــدِهـــمُ عفـــوَها ... على ما سَبَوا غيرَهـــم أو أغاروا
يُقِـــرُّ لمجـــدك إكثارُهـــا ... بما(٥) سلَفتْ أنّه الإقتصارُ
فإن شفَع العبـــدُ فى مذنبٍ ... نجت وجروحُ الأمانى جُبارُ(٦)
وإن بلَغ الشكرُ حـــقَّ امرئٍ ... فغايتُهـا معَـــك الإنتصارُ

---

(١) الغرمات جمع غرمة وهى المرة من الغرم . (٢) فى الأصل "بجودك" . (٣) فى الأصل "النوس" . (٤) عياب جمع عيبة وهى ما توضع فيها الثياب . (٥) فى الأصل "ما" .
(٦) جبار : هدر وفى الأصل "حبار" وهو تحريف .

* * *

وبلغهُ عن أبي منصور بن مارسجيس عتابٌ جميلٌ، وذكرٌ طيّبٌ، وتشوّقٌ شديدٌ، وتشوّفٌ الى الوقوف على شيء من شعره، فراسله يسأل ذلك دفعاتٍ، ويخطبُ ودّه، ويرغبُ اليه في غِشيانِه، فأحبَّ أن يكونَ أولُ ما يفسح به المودّةَ أمرا يخصُّه، فكتب اليه هذه القصيدةَ، وأنفذها يوم فصح النصارَى بعد الحمل وتكرُّر الرغبة

شواردُ حظٍّ لا يَقِرُّ نُفُورُها ... ورِبقةُ همٍّ لا يُفكُّ أسيرُها
وصحبةُ أيّامٍ تُعَدُّ حظوظُها ... قِصارا اذا عُدَّتْ طِوالا شهورُها
ونزعٌ بأطماعٍ ضعافٍ تمدُّها ... أمانيُّ لم يَقبَلْ يمينا مُعيرُها
أمرُّ على عَمياءَ أستدفُّها ... وآوِي الى بَهماءَ أستنيرُها
بوارقُ ما للعين إلا وميضُها ... ولا للثرى تعطشانِ إلا غُرورُها
تعجَّبُ من صبري وعندي خَلوتُه ... ومُصعِقُها وعند غيري مَطيرُه
أجِدُّك لم يأنس فتى بنديّها ... فأسألُ عن أخلاقها ما دُرورُها
وجدبتُها ثم استمرّ ضرورةً ... (١) مَريرِي على ما ساءني ومَريرُها
كأنّي اذا لم أقضِ منها لُبانةً ... وقد نَضَبتْ أوطارُها ونُذورُها،
وأنّي ترانى أغسلُ الدمَ موجَعا ... أو العارَ فأعلم ثَمَّ أنى عقيرُها
عطاءٌ على التقتير إلا غديرةً ... تزاحَمَ حول الأربعين (٢) قَتيرُها
غرابيبُ (٣) من لون الشبيبةِ وقّعٌ ... أسَفُّ (٤) من الأيام بازٍ يُطيرُها

---

(١) المرير: الحبل اذا أحكم فتله وأشتد ويقال: استمرّ مريره أى استحكم عزمه. (٢) القتير: الشيب أو أول ما يظهر منه. (٣) غرابيب: سود، وهو وصف لموصوف محذوف يراد به الغربان على جرى عادة العرب في تشبيه الشيب. (٤) أسفّ: دنا في طيرانه من الأرض حتى كادت رجله تصيبها.

تُقسِّى القلوبَ بعدها وحشةٌ لها ... كأنَّ قلوبَ الغانيات وُكورُها

تُرى بوجوهٍ أنها بجمالها ... تصيدُ وما الأشراكُ إلا شعورُها

أجاور فى شيبى عيونا قويّةً ... على جزَلِ الشَّيبِ المغانطِ حُورُها

وكلّ بياضٍ فضلةٌ لا يليقُها ... اذا لم يكن إلا السواد يَضيرُها

سلا جمراتِ البين بى : كيف دُستُها ... يوقَّدُ بالأنفاس تحتى سعيرُها

حملتُ بقلبى منهمُ وهو حبّةٌ ... ومن عِيسهم ما لا تُقِلُّ ظهورُها

تلفتُّ بالأظعانِ رَفعا ومَهبِطا ... تعوَّجُ لى أو تستقيمُ سطورُها

بعشواءَ من فرطِ البكاء كأنما ... تواعدَ نارُ الحىِّ يَبْنًا ونورُها (١)

وفيمن نكرتُ الحلمَ من جزَعٍ له ... صبورُ مقاماتِ الوداع شكورُها

اذا أفحمتنى قولةٌ فصُحتْ (٢) له ... وأقتلُ ألفاظِ الإناثِ ذُكورُها

يديرُ كئوسا مُرَّةً من لحاظه ... وفى فيه أُخرَى حُلوةٌ لا يُديرُها

من العربيّاتِ الكرائمِ درّةٌ ... تُخاضُ اليها من "تميم" بحورُها

تلوذ أمشاعى فى القناعة جالسا ... فهل نورةٌ تُرضى المَعالى أنورُها ؟

وأوحدنى كما ترينَ وعفَّ بى ... فسادُ موداتٍ أرَى وفجورُها

وأبناءُ عَلّاتٍ (٣) أخوها غنيُّها الـ ... ـمريحُ ومولاها الهجينُ فقيرُها

وجوهٌ يصفِّيها النفاقُ وتحتَها ... بطائنُ من غِشٍّ يشِفُّ (٤) كُدورُها

أضمُّ القوافى لى تنىءُ عليهمُ ... وليس وراء الحِدر إلا نُفورُها

وأوحشها ممَّن تُقلِّدُ أنه ... سواءٌ حصاها عنده وشذورُها

وأن قياما بالقناء لذَودِها ... أعزُّ اذا لم يَرعَ خِصبا مسيرُها

---

(١) مرجع الضمير فيه قوله عشراء فى أول البيت . (٢) فى الأصل "فضحت" . (٣) أبناء العَلّات هم بنو أمّهات شتّى وأب واحد ، الواحد : عَلّة . (٤) فى الأصل "يسف" .

أفى نُصرة الأعراب من حسدٍ لها؟ ومنهم بواديها ومنهم حُضورُها !
وفى قومها من "فارسٍ" للسانها عدوٌّ فسل فى "قيصرٍ" مَن نصيرُها
لعلَّ غلامًا أدَّبَ الملكُ رأيَهُ تَنُطُّ[1] بـه أرحامُها فيُجيرُها
وما ضرَّ فى غير "الكُفاة" آرتخاصُها[2] اذا ما غلَت عند "آبن عيسى" مهورُها
اذا ما دعتْ أفضى اليه آفتراعُها فكان فتاها مَن أبوه وزيرُها
سعى للعالى سعيَها وهو يافعٌ وأكبرُها من ساد وهو صغيرُها
وهِيبَ وما طَرَّتْ خميلةُ وجهه وأولَى النصولِ أن يُهابَ طريرُها
أراك وما أسديتَ بعدُ صنيعةً يقول الرضا عنها ويَشهدُ زُورُها
تَخالَفُ أقوالٌ عليك آتفاقُها وتكثُرُ أوصافٌ اليك مصيرُها
لقد فخر النادى أبٌ عَدَلَ آبنَهُ اذا خاف خجلاتِ الرجالِ فخورُها
وفى شطَطِ الآمالِ فيك لنفسه وأكثرُ آمالِ النفوس غُرورُها
لمدَّ على العلياء منك فنالها يدًا يذرعُ[3] الريحَ الطويلَ قصيرُها
لكُم وفضةُ[4] الآراءِ تبتَدِهونها[5] فتُصمِى[6] اذا الآراءُ أشوَى[7] قَطيرُها[8]
وما وهنتْ فيما تُقلِّبُ دولةٌ وأنتم لها إلا وفيكم جُبورُها[9][10]
لقد علمتْ كيف آطرادُ نظامها لياليَ إذ تُلقَى اليكم أمورُها
اذا ذُكرتْ أسماؤكم هشَّ تاجُها لأيامه منكم وحُقَّ سريرُها

(١) تنط : ترق وتحنّ . (٢) فى الأصل "تحاصها" . (٣) يذرع : يقيس بالذراع ، وفى الأصل "يدرع" . (٤) الوفضة : المرة من الوفض وهو العدو والإسراع . (٥) تبتدهونها : تقولونها على البديهة . (٦) تصمى : تصيب المقتل . (٧) أشوى : أصاب شواه لا مقتله . (٨) القطير : الرأى الذى يبدو من غير تروٍّ ومنه "إياك والرأى القطير" . (٩) فى الأصل "الا فيكم" . (١٠) الجبور : جبر العظم .

حلفتُ بما يحمى الخمير أحلّه ... ويوقدُ مما قلّدته ضُفورُها (١)

رَعَوها الربيعَ فالربيعَ وعطّنوا (٢) ... عليها الى أن ضاق عنها سيورُها (٣)

تساقُ الشهورَ والليالى هديّةً ... الى ساعة تُوفَى "بجَمْع" أُجورُها

"ببطحاء" لو ما أنبتَ الدمُ روضةً ... لروّضَ من جارى طُلاها (٤) صخورُها

لقد سرّ سمعى ما استطاع مخبّرى ... بودّك، والأخبارُ تَزْدُرُ سرورُها

سلاما ووصفا واشتياقا بغيبةٍ (٥) ... ذكتْ لوعتى منها وشبّ زفيرُها

فإنّك للآداب والودّ خاطبٌ ... بشيرُ العلا فيما خطبتَ بشيرُها

فقل: كيف تنبو روضةٌ غاضَ برهةً ... جدَا الماءِ عنها ثم فاضَ غديرُها؟

محاسنُ أيقظتَ العلا فى طلابها ... فقد (٦) نام هاديها وقام ضريرُها

فليتك — إن كان المبلّغ صادقا — ... أجابك عفوا سهلُها وعسيرُها

فتحتُ لك الأبوابَ عنها وقد أبَى (٧) ... زماناً حفيظاها وحُصّنَ سُورُها

لئن كانت "الزّبّاءَ" عِزًّا ومَنْعَةً (٨) ... فأنت لها من غير جَذْعٍ "قصيرُها"

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا: والظاهر من السياق أنه يريد أن يُقسِمَ بالبُدْن التى تُهدَى وقد حاولت تصحيحه وتصحيفه على وجوه شتى فلم نوفّق الى ما يرضى الذوق الأدبىّ فأثبتناه كما هو حرصا على أمانة النقل. (٢) عطّنوا: اتخذوا لها العطَنَ وهو المناخ. (٣) سيورها: جلودها.
(٤) الطُّلَى: الأعناق. (٥) فى الأصل هكذا "بعمه" ومنه بدلا من منها. (٦) فى الأصل "فقل". (٧) حفيظاها: حارساها. (٨) الزباء: ملكة الجزيرة وكان "جذيمة الأبرش" قد وترها بقتل أبيها فغررته وأرته أنها تريد الزواج به فلما قدم عليها قتلته وكان "قصير" من أهل الرأى والحجا عند "جذيمة" ومن ثقاته فذهب الى "عمرو بن عدىّ" وطلب منه أن يثأر لخاله من "الزبّاء" واحتال على ذلك "قصير" بأن جدع أنفه وخرج كأنه هارب من "عمرو بن عدىّ" حتى قدم عليها، فلما سألته عن سبب جدع أنفه قال لها: زعم "عمرو بن عدىّ" أنى غرّرتُ خالَه وغششتُه وما لأتُكِ على قتله فصدّقته وأكرمته، وما زال بها حتى هيّأ "لعمرو" الفرصة فسار اليها برجاله فلما رأته وعلمت أنها لا محالة هالكة مصّت خاتما فى يدها به سُمّ وقالت: بيدى لا بيد عمرو؛ ونصتها طويلة.

ولولا الوداد ما بَرزنَ سوالحا ... وقد برزتْ بالغانيات خدورُها

ولا عاقها فى عَرضها (١) لمعاشرٍ ... معارفَها عُجْمُ البصائر عُورُها

اذا آنسعتْ أيمانُها لعطيّةٍ ... وراجعت الأخلاقَ ضاقت صدورُها

ولكنّها نفسٌ يطاعُ صديقها ... على حُكمها فيها ويُعصى (٢) أميرُها

تَمَلَّ بها لا طيبَ نشرٍ يفوتها ... اذا لومستْ ولا جمالَ يبورُها

أزورُ بها دُورَ الملوك طليعةً ... تَرود لِيَ الأخلاقَ ثم أزورها

وقَسِّحْ لها فى زينة الفصْح (٣) موضعاً ... تقوم به، تُتْلَى عليك عُشورُها

وَسَلْ وأبولك العزَّ ما حنَّ فاقدٌ ... وقام على السَّبْع الطِّباقِ مديرُها

وأوفَى بها شُعثُ لكم يُدرسونها ... "مزاميرَ" يستوفى الثُّحونَ "زَبورُها"

مُكبّين للأذقان يحتضنونها ... يصانُ عن الصفح العنيف سُفورُها

تفوتكمُ بالسمع، والعينُ ما رأتْ ... ودلَّ على ما فى القلوب نذيرُها

فأُقسمُ لو قُضّت (٤) ضلوعىَ بعدها ... لما آلتامتْ إلا عليكم فُطورُها (٥)

* * *

وكتب اليه مؤيّد السلطان ذو المجد بن زين الكُفاة بن الصاحب الأوحد ذى السياستين أبى محمد بن مُكرم وهو مؤمَّرٌ على عُمانَ وأعمالِ البحر، يذكر أيامَ مصاحبته إيّاه فى الصِّبا، ويتشوَّقُ قربَهُ، ويصفُ آستيحاشَه لمكانه، ويحثُّه على زيارته، ويرغِّبه فى فوائد الإلمام به، ومنافع غشيانِه، فأجابه عن كتابه نثرا بما آشتمل على وصف العذر فى التأخّر والآرتفاع لسلوك البحر، وقَرَنَ الكتابَ بهذه القصيدة يمدحه، ويعرِّض بذكر إنسانٍ عتبَه على الموَدّة، وقصده بالأذيّة من أهله، ويذمُّ اليه بعضَ من ببغداد من مدبِّرى الأمور، ويصف السفينةَ البحريّة وأنفذها اليه

(١) فى الأصل "تعرضها". (٢) فى الأصل "وبعض". (٣) فى الأصل هكذا "رتبة القسح". (٤) فى الأصل "قضت". (٥) فطور جمع فَطْر وهو الشَّقّ.

بين "النقا" "فتنية الحجر" سمـــراءُ تُرقَبُ بالقنـا السُّمرِ
رصفَتْ قلائدَها بما سفكتْ من فيضِ دمعٍ أو دمٍ هَـدْرِ
ماشئتِ من حَبِّ القلوب أوالـ ـأجفان فى بيضٍ وفى حُمُـرِ
نزلَتْ "مِنًى" أُولَى ثلاثِ "مِنًى" فقضت نحيزة ليلة النَّفْـرِ
وجلَتْ لأربع عشرة قمـرا والشهرُ ما أوفَى على العَشْرِ
تَرمِى الجمارَ وبين أضلعنـا غرضٌ لها ترميه بالجمـرِ
من لى على عَطْلَى بغانيـةٍ شبَّتْ وشِبْتُ وعمرُها عُمرى
لم تَنْـوِ فى قَسَمٍ تحلَّتَـهُ إلا اذا حلفتْ على الهَجْـرِ
قالت وليت فى ضنا جسدى: طَـرْفى علَى إسقامه عُذرى
وٱستُسقِيَتْ لظَمَاى ريقتَها فاستشهدتْ بالآى فى الخمرِ
وتقـول للعـذّالِ مُغضَبةً: شيَّبتُـه من حيثُ لا يدرى
قبَّلتُ عصيانًا عوارضَـه عمدا فأعدى شَعرَهُ ثَغـرى

* * *

وأَخٍ مع السرّاء من عُـدَدِى وعلىّ فى الضـرّاء والشـرِّ
تطوى حشـاه عـلى تبسّمِه أضلاعَ مُشرجةٍ(١) على الغِمـرِ(٢)
مولاى والأحداثُ مغمـدةٌ فاذا ٱنتُضينَ فَرَى كما تَفْـرى
تَعِبٌ بحفظ هَنـاتِ مَيسَرَتى حتى يعـدَّدَها على العُسرِ
الدهرُ ألْيَنُ منـه لى كنفـا لو كان يتركنى مـع الدهرِ
ومغمِّ المعـروف يخـدعنى إيمـاضُ واضحتيـه بالبِشرِ
سكَنَ اليفاع(٣) وشبَّ موقـده نارا يغُـرُّبها ولا يَقْـرى
ذى فطنـةٍ فى الشكر راغبـةٍ وغباوةٍ بجوالب الشكـرِ

(١) مشرجة : مضمومة . (٢) الغمر : الحقد والغلّ . (٣) اليفاع : نقيض الحضيض .

فإذا مدحتُ مدحتُ ماطرةً ... وإذا عصرتُ عصرتُ من صخرِ

لا طاب نفسًا بالنوالِ ولا ... محَضَ المودةَ زُبدةَ الصَّدرِ

وأرادنى من غير ثروتِه ... أن أستكينَ لذلّة الفقرِ

يخبو بعرضى أن يضامَ له ... عَرْضُ الفلاةِ (١) وغضبةُ الحُرِّ

وتنجّزُ الأيّام ما وعدتْ ... فى مثله وعواقبُ الصبرِ

"ومؤيّد السلطان" عالية ... يَدُه بتأييدى وفى نصرى

لو شئتُ قُمْتُ سُرَى النجوم به ... وخفيتُ (٢) عن ألحاظها الزُّهرِ

ولبلّغتْنى المجدَ سابحةٌ ... بالظَّهرِ (٣) ليست من بنى الظهرِ

ترتاح للضَّحضاح (٤) خائضةً ... [وتكدّ (٥)] بالمتعمِّقِ الغمرِ

تجرى الرياح على مشيئتها (٦) ... فتُخالُ طائرةً بما تجرى

واذا شراعاها لها نُشِرَا ... خفقَتْ بقادمتين من نَسرِ (٧)

فى جانبٍ لينٌ يُدفِّئُها ... وخطارُها فى جانبٍ وعرِ

يحدو المطىَّ الزاجرون له ... وتسوقُنى بالتهليلِ والذِّكرِ

من لى بقلبٍ فوقها ذَكَرٍ ... مُصْغٍ لعذلى تابعٍ أمرى

قالوا : الشجاعةُ ! إنّه غَرَرٌ ... متقاربُ الميقاتِ والقدرِ

---

(١) فى الأصل "الفلا" . (٢) فى الأصل "حفيت" . (٣) يريد وصف السفينة بأنها تسبح بظهرها يعوم بزفّها الذى فى الماء وأنها ليست من الإبل ذوات الظهر . (٤) الضحضاح : الماء القريب القعر . (٥) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجحناها لأنّ البيت أولا ولإتمام المعنى بها ثانيا . (٦) فى الأصل "المشيتها" . (٧) فى الأصل "نسر" وفيه نظر الى قول مسلم بن الوليد فى وصف السفينة

اذا أقبلت راعت بقُنّة قَرْهَب ... وإن أدبرتْ راعت بقادمتَىْ نَسرِ

قوله : بقنّة قرهب أى برأس ثور وحشىّ مسنّ ، ويراد بقوادم النسر المقاديف .

يومان فى لُجٍّ فإن فَضُـــلا بزيادةٍ فبليـــلة العِـــبْرِ (١)
هيهـات منّى ساحلٌ يَبِسٌ والبحرُ يُفضى بى الى البحـــرِ
القصـــدُ والمقصودُ من شَـــبَهٍ فى الجـــود أو حدٌّ من الغَـــزْرِ (٢)
ما أنَّ (٣) إلا أنَّ ذا أجِنٌّ مِلحٌ وذاك زلالةُ القَطْـــرِ
جارَى الملوكَ فبـــذَّهم ملك سبق القـــوارحَ فى سِنِى مُهْـــرِ
وأَرَى بنى الستين عجـــزَهُمُ فى الرأى وهو آبنُ اثنَتَىْ عَشْرِ
لا طارفُ النعماءِ مـــتزيِّنٌ فيهـا ولا مستحدثُ الفخـــرِ
من وارثى العلياء ما آغتصبوا مجـــدا ولا ملكوه بالقهـــرِ
أرباب بيتِ مكارمٍ عقـــدوا أطنـــابَه بأوائـــل الدهرِ
ضربوا على الدُّوَل آستهـــامَهم (٤) وتقاسمـــوا بالنَّهْى والأمرِ
فى كلّ أفقٍ منهـــمُ عَـــلَمٌ مَرعَى العفاةِ وسَـــدَّةُ الثَّغْـــرِ
أبناء "مُكْرَمَ" وهى معرفةٌ نصروا آسمهـا بإهانة الوفـــرِ
قَطَنـــوا (٥) وسار عطاؤهم شَبَهـــا بالبحـــر قامَ وملكُه (٦) يســـرى
فى كلّ دارٍ من مواهبهـــم أثرُ الحيـــا فى البـــلدة القفـــرِ
وملكتَ ياذا المجـــد غايتَهم، ما للبهـــام (٧) فضـــيلة الغُـــرِّ
زيَّدتَهـــم شرفا وبعضُهـــمُ لأبيه مثـــلُ الواوِ فى "عمرو"
ســـدُّوا بك الغاراتِ منفردا فملأتَ صفَّ الجحفـــلِ المَجْرِ (٨)
ودجا ظـــلامُ الرأى بينهـــمُ فوضَحتَ فيـــه بطلعةِ الفجـــرِ

(١) العبر : الساحل والحافة . (٢) الغزر : كثرة الدَّرّ . (٣) ما أنّ : ما هاج وما ثار حتى أشبه صوته الأنين ويريد البحر . (٤) الآستهام : الآقتراع . (٥) فى الأصل "قطنوا" . (٦) يُلْكه مثلثة : ماؤه وفى الأصل "ملكه" . (٧) البهام : السود . (٨) الجحفل المجر : الجيش الكثير .

وأبوك يوم "البصرة" اعترفت ... قَدَمُ العِدا لسيوفه النُّكرِ
ألِقَ عضًا من عزمةٍ بَتَرَتْ(١) ... آياتُها حدَّ الظُّبا البُتُرِ(٢)
لقَنَتْ على "الكرجيّ" ما أفكتْ ... كفّاه من كيدٍ ومن مَكْرِ
فمضى يخيِّر نفسَه خَوَرا ... ذلّين من قتلٍ ومن أسرِ
يجدُ الفرارَ أحبَّ عاجلةً ... لو كُفَّ غربُ الموتِ بالفَرِّ
ورأت "عُمانُ" وأهلُها بك ما ... أغنى الفقيرَ وأمّنَ المُعْرِي
صارت بجودك وهي موحشةٌ ... أُنسَ الوفودِ وقبلةَ السَّفْرِ
يفديك مبتهجٌ بنعمته ... أسيانُ(٣) في المعروف والبِرِّ
ألهاه طيبُ المالِ يُحرِزُه ... عن طِيبِ ما أحرزتَ من ذِكْرِ
يبغي عِثارَك وهو في تعبٍ ... كاللّيلِ طالبُ عثرةِ البدرِ
قد قلتُ لما حقّ: دعْ مِدَحي ... زينُ "الكفاةِ" أبرُّ بالشِّعرِ
أتركْ مقاماتِ العلاء له ... متأخّرا فالصدرُ للصدرِ
يا نازحا ورجاءُ نعمتِه ... مِنّي مكانَ السِّحرِ(٤) والنَّحرِ
هل أنت قاضٍ فيَّ نذرَك لي؟ ... فلقد قضت فيك المنى نذري
أيامَ لي وحدي الوفاءُ وكلّ ... الناس من نكثٍ ومن غدرِ
وأرى نداك اليومَ في نفرٍ ... لم يُتبرَكوا في ذلك العصرِ
أُردد يدي ملأى وحاش لمن ... يعتامُ جودَك من يدٍ صِفْرِ
وأعطفْ عليَّ كما صدتَ أُذُقْ(٥) ... طعميك من حُلوٍ ومن مُرِّ
وألبسْ من النعماء سابغةً ... لا تذريها(٦) أسهمُ الدهرِ

(١) بترت: قطعت. (٢) البتر جمع أبتر وهو القاطع من السيوف. (٣) الأسيان: الحزين.
(٤) السحر: الرئة. (٥) في الأصل "بما". (٦) لا تذريها: لا تجعلها غرضا لها.

تَعمَى النـــوائبُ عن تأمُّلِها ... وتُطيلُ فيهـا نَومـــةَ السُّكرِ
مهما تَعُـــدْ[1] خَلَقًا بِخِدَّتِها ... تـــزداد بالتقليبِ والنشـــرِ
واسمـــعْ أُزَرْكَ بكلِّ مالئةٍ ... عينَ الضجيعِ خريدةٍ بِكْرِ
نَسْجُ القريحـــةِ ثوبُ زينتِها ... وحُلِيُّهـا من صـــنعةِ الفكرِ
من سحرِ "بابلَ" نفثُ عُقدتِها[2] ... سارٍ و"بابلُ" منبتُ السِّحرِ
وكأنما ساقَ التجارُ بها ... لكَ من "صُحارَ"[3] لطيمةَ العطرِ
تُمسى لهـا الآذانُ آذنـــةً ... ولو انهنّ حُجِبنَ بالوَقْـــرِ[4]
حتى أراكَ وأخمصاكَ معـا ... قُرطانِ "للعَيّوق"[5] و"النَّسرِ"
هذى الهَـــدِيُّ[6] عليَّ جَلْوَتُها ... وعليكمُ الإنصـــافُ فى المَهـــرِ

* * *

وكتب الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى النيروز

لعـــلَّ لها مع النَّسرين[7] سِـــرًّا ... فدعها طائراتٍ أن تَمُـــرَّا
ركائب واثقين من الأمانى ... وأظهُـــرِها بما قلتَـــه خُبْرا
تـــلوح خواطفا فتظُنُّ أمرًا ... بها فى الســـير وهى تُريد أمرا
ســـواءٌ عنـــد أعينها سِرارا[8] ... قطعنَ الشهرَ أو سايرن بـــدرا
ولولا أن يخضن مع الدرارى ... سوادَ الليـــل لم يُخلَقن[9] حُمـــرا
يُحَطُّ المَيْسُ[10] منها عن جُنـــوبٍ ... محلَّقـــةٍ وكنَّ رحلنَ شُـــعرا[11]

---

(١) فى الأصل "بعد" . (٢) فى الأصل "نفت" . (٣) صُحار: قصبةُ عمان وهى بلد مشهور بخيراته وطيب هوائه وكثرة أسواقه ؛ واللطيمة : العِيرُ تحمل الطيب . (٤) الوقر : الصمم . (٥) العيوق والنسر : اسما كوكبين . (٦) فى الأصل "هادى" ، والهدىّ : العروس . (٧) النسرين : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الواقع وللآخر النسر الطائر . (٨) السرار : ليالى آخر الشهر . (٩) فى الأصل "يخلقن" . (١٠) الميس : الرحل . (١١) شُعرا جمع شَعْراء وهى الكثيرة الشعر على بدنها .

اذا أُرسِلَن فى الحاجات خَطْبًا[1] حَبَوْنَكَ ثيِّبًا منها وبِكرا
يَكُنَّ الى فَوارِكِها[2] شفيعًا يُقِرُّ نِفارَها ويكُنَّ مَهْرا
وراءَ العِزّ طالبُهُ فإما وصلنا أو بلغنا فيه عُذرا
وماء تَحبِسُ[3] الأنفاسُ منه وتُستشرى[4] به اللَّهَواتُ حَرًّا
وردت مع القطا الكُدرىّ منه أَجُونًا[5] من بقايا الصَّيف كَدْرا[6]
أُسيغُ شرابهُ المكروهَ حلوا اذا قايستُه بالذلّ مُرًّا
وبيتِ قِرًى تشرَّف ساكنوه يَفاعا يَقصرون العيشَ قَسْرا
نزلتُ به وفيه غِنًى لقوم وسرتُ بجودهم وتركتُ فَقرا
وكالمُهَراتِ فى فَتَياتِ حىٍّ حَكَيْنَ رماحَه لحظاتِ سُمرا
يُردن الخيرَ إلا أنَّ قولا يُظنُّ المستريبَ بهنَّ شَرًّا
خلوتُ بنومهنَّ فلم أوسِّدْ يدى جنبًا ولا جنبىَّ نُكرا
ورحتُ وقد ملأتُ الودَّ عينًا بما أودعتُها وملأتُ صدرا
وقافيةٍ على الراوى لَجوجٍ خدعتُ نِفارَها حتى اسْتَقَرَّا
تموتُ بموتِ قائلها القوافى وتبقَى لى وللمدوح ذِكْرا
فصُحتُ "لِعُرُبٍ" فيها كأنّى عَجُمتُ "ببابِلٍ" فنَفَثْتُ سِحْرا
طلبتُ لها من الفتيان قِدْمًا[7] يكون لعقدها المنظومِ نَحْرا
فلم يَعْدُ "ابنَ أيّوبَ" اختيارى وقد عمّقتُ فى ذا الناسِ سَبْرا

---

(١) خطبا : مخطوبة . (٢) الفوارك جمع فاركة وهى المبغضة زوجها . (٣) فى الأصل "يحبس" . (٤) تستشرى : تفسد بما يصيبها ، من قولهم : استشرى البعير عرًّا أى فسد جلده بما أصابه من الجرب . (٥) الأجون : الماء المتغير . (٦) الكدر : الذى فيه كدرة مثل أكدر وكُدَيْر . (٧) فى الأصل "قدما" .

وما طـــوّفت فى الآفاق إلا ... وجـــدتُك أنتَ أينَ طلبتُ حُرّا
جنَبتُ بك الهـــوى كهلا كأنى ... جنبتُ يدى الشبـــابَ المسبكرّا (١)
وعلّقتُ المـــودّةَ منك كفّى ... على زلِقٍ متينِ الفتـــلِ شَزْرا (٢)
دعوتُك والحـــوادثُ ذاهبـــاتٌ ... بسَرح (٣) تصـــوُنى طردا وطَـــرّا
وقد طَلَقَتْ بنـــاتُ الصـــبرِ منّى ... كأنى لم أكن للصّـــبر صِهرا
فكنتَ أنى هوّى وأبى حُنُـــوًّا ... ونفسى نُصـــرةً وبُنىّ بِـــرّا
حملتَ حـــالةَ الأيّامِ عـــنّى ... قُلُوصا (٤) فكّنى منهـــا وكَرّا
مغارمُ أشكَلَتْ، أفضَيْتَ حتّى ال ... ـمودّةِ أم قضَيْتَ بهنّ نَذْرا؟
أشرتُ الى يديك فصُبتَ (٥) عفـــوًا ... وقد أتعبت أيدى المزن غَفْـــرا
ولمـــا تَلَمّتْ مـــنّى الليـــالى ... أريتُك خَـــلّةً فســـددتَ عَشْرا
مكارمُ لم تُســـابَقْ فى مـــداها ... وقد حرَصَتْ عليهـــا الريحُ حَصْرا
وأخـــلاقٌ صفت من كلّ غِشٍّ ... سكرتُ بهـــا وما عوطيت خمـــرا
ملكتَ حسابَها إرثا حـــلالا ... فصرنَ لديك حقّا مســـتقرّا
أبًا فأبًا من الأعـــلامِ فيها ... نعـــدّهُمُ اليك هـــلمّ جـــرّا
لَعَمْرُ الحاســـدينك، وهـــل يُبَقّى ... هم حَسَـــدُ الكمالِ عليك عَمْـــرا؟
لقـــد ليموا بمـــا نقمـــوا وإنى ... لأوسعُهم بمـــا حســـدوك عُذرا
أقِلْنى العجـــزَ إن قَصّرتُ وصفا ... لِمـــا أوليتَ أو قَصّرتُ شكرا
فإنّ علىّ جَهْـــدَ الفكرِ قـــولا ... وليس علىّ عنـــد الغيثِ قَطْـــرا

(١٥٣)

(١) المسبكر : التام المعتدل . (٢) الشزر : فتل الحبـــل عن اليسار وهو أحكم لفتله .
(٣) السرح : المال السائم ، وفى الأصل "بشرح" . (٤) القلوص : الوثب . (٥) صبت من صاب المطر يصوب بمعنى انصبّ ونزل ، وفى الأصل "نضبت" .

على أنّ القوافي لُفَّ عني ... كوافلَ بالذي أرضى وسرّا
تروح عليك أو تغدو التهاني ... مع حوافلَ الأخلافِ غُرّا
اذا مطرتْ ترى الأحساب بيضا ... بما يُثنين والأعراض خُضْرا
كأن لطيمةً منها أُنيختْ ... ببابك، فارتدعْ[1] ما شئتَ عِطرا
تعدّ الدهرَ نيروزا وعيدا ... وصوما راجعا أبدا وفطرا
فتصحبُه بأنفذَ منه أمرا ... على الدنيا وأطولَ فيه عُمرا

* * *

وكتب الى الصاحب أبي القاسم بن عبد الرحيم في النيروز

هل عند ريح الصَّبا من "رامةٍ" خبرُ ... أم طاب أن صاب روضاتِ اللّوى المطرُ؟
علامةٌ لك من "أم الوليد" أتت ... تعلو الرياحُ بها والمزن تحتدرُ
كأنّ ما هبَّ عِطرياً مجاسدُها[2] ... منفوضةً وكأنّ البارقَ الأشِرُ[3]
هوًى ترامت به الأيّام تُبعدُه ... وقرّبتْه لك الآياتُ والذِّكرُ
ونازلٌ "باللوى" يسليك صورتُه ... تيهُ الطريق ويذميك اسمُه احذَرُ
سرى الى الشرق مشتاقاً وما فُقِدتْ ... عينٌ له "بلوى خبتٍ"[4] ولا أثرُ
يُحشّمُ البدوَ أن يشقى برؤيته ... ويلبسُ الليلَ زوّارا فيعتكرُ
ما استوطن البيدَ لولا أنه رشأٌ ... وما امتطى الليلَ لولا أنه قمرُ
يا مِنّةً للكرى لولا حلاوتُها ... ما ذُمّ — وهو وفاءٌ في الهوى — السهرُ
مدّ الظلامُ بها قبلَ الصباح يدا ... بيضاءَ بانَ بها من أمسه السحَرُ

---

(١) يقال: ارتدع بالطيب بمعنى تضمّخ.
(٢) المجاسد جمع مِجْسد وهو القميص يلي الجسدَ.
(٣) الأشِرُ: حدّة وريقة في أطراف الأسنان.
(٤) لوى خبت: اسم موضع؛ وفي الأصل "خبث" وهو تحريف.

فى الضـارين على "البَلْقـاء" باديةً ... يَسبِى لها الحرَّ من أبنائه الحَضَرُ

تُصبِى الأحاديثُ عنها وهى نازحـةٌ ... والسـمعُ يعلَق ما لا يعلَق البصرُ

سمراءُ غارتْ عليها — وهى تُشبِهُها[1] ... فى القدّ واللون — تحميها القنا السُّمُرُ

تَاينُ خَلْقًا ويجفـو خُلْقُها فكأنْ ... فى جسمها[2] المـاءُ أُلْقِى قلبُها الحجـرُ

"سعديّة" تدّعى أن الوفاءَ لها ... من صُلب "ساجب"[3] حبلٌ ليس يبتتر

فما لها وفـؤادى فى خفارتها ... والشـوقُ يرعاه ظلمـا ليس ينتصرُ

لو شاء بعـدُ جوارى وهو مطّـرِحٌ ... من شاء، قال: "التميميّون" قد غدروا

ما أنكرتْ "أمُّ حبر" وهى معرضة ... أغيرَ أنْ لونتْ من لِمّتى الغِـيَرُ؟

وَفَى الصِّبَا[4] للهـوَى إذ كان حالفه ... لا يُحلَقُ الحبُّ حتى يُحلَقَ الشَّـعَرُ

أرى المنى بعـدُ تُملِى لى سـوالفها ... وفى المشيب الذى استقبلتُ مزدجَرُ

أشتاق حاجاتِىَ الأولَى وتجـذبنى ... الى اتّبـاع النُّهى حاجاتِىَ الأُخَـرُ

ما أشرفَ الحـلمَ لولا ثِقل محمـلِه ... وأجـلَ الصمتَ لولا قولهم: حَصَرُ

وما أعزَّ الفـتى فى ظلِّ عفّتـه ... لو شُـوور الحزمُ أو لو صحّت الفِكَرُ

ما لكَ[5] فى الحرص إلا فضـلُ ذلّته ... والرزقُ يفعل فيه ما اشتهى القـدَرُ

خُلقانِ فى هـذه الدنيـا مُعاسرةٌ ... ما طوليتْ، وبها إن تُوركت يُسرُ

قنعتُ منها بما بلّ الصـدَى كبِدًا ... من همّتى ظنَّ قـومٌ أنه صـغرُ

أسوّف العيشَ حسنَ الظنّ أجـبُره ... على فسادٍ وجَـبرُ الظنّ منكسرُ

مرقّعًا بالمنى أرجـو غدا فغـدا ... تأتى الحظوظُ وحظّى بعـدُ منتظَرُ

رضًا بنفسِىَ أو ودِّ امرئٍ ثِقـةٍ ... أغنَى به، وغنًى المـالِ مفتقِـرُ

(١٥٤)

(١) فى الأصل "تشب". (٢) يريد فى جسمها الذى هو كالماء. (٣) يبتتر: ينقطع، وفى الأصل "يتنثر". (٤) فى الأصل "بن". (٥) دخل الطىّ على هذه الكلمة وهو حذف الرابع الساكن وقد كثر كثيرا فى هذه القصيدة.

وإن مدحتُ فمخبرٌ[1] لا أعابُ به ... ولا يكذّبُ إخبارى به الخُبُرُ
اذا غلوتُ بقولٍ فيه لم ترنى ... الى المروءة فيما قلتُ أعتذرُ
حدّثْ بفضلِ بنى "عبدِ الرحيم" وما ... طابوا على قِدَمِ الدنيا وما كثُرُوا
وآستشهد الصُّحُفَ[2] الأولى بما نقلت ... عنهم وما قصّت الآثارُ والسِّيَرُ
المكتفين اذا غابوا بشُهرتهم ... عن الشهادة والكافين ما حضَروا
أبناء ذروة هذا الملك قد فرَعوا ... سَنامَه يطلبون النجمَ ما آنحدروا
تملّكوا قربَ[3] الدنيا وشرعتَها ... لا يَرِدُ الناسُ إلا كلَّ ما صدَروا
لا تستخفُّهم الأحداثُ إن طرقت ... عن الحُلومِ ولا يُطغيهم البطَرُ
اذا بلوتَ تُقاهم أو بصائرَهم ... فى نعمةٍ شَكَروا أو نكبةٍ صبَروا
تكلّموا وأُرِمّ[4] الناطقون لهم ... لا يؤمَرون ولا يُعصَوْن إن أَمَروا
يُدعَون فى السنواتِ الشُّهبِ[5] جامدةً ... فيفعلون بها ما يفعلُ المطرُ
غاض الفُراتُ وضنَّ المزنُ وآنبعثتْ ... فى المزنِ تُعصَرُ أيديهم فتنعصِرُ
لو ركّبوا فى أعاليهم أناملَهم ... [يوم][6] الوغَى خُضِّرتْ أطرافُها الحُمُرُ
إن كنتَ فيمن طواه البينُ ممترياً ... منهم فعندك من منشورهم خبَرُ
هذا "الحسينُ" حياةٌ خُلِّدتْ لهمُ ... ليسوا بأوّل موتًى بابنهم نُشِروا
صَلّى[7] فزادت على السُّبّاق حَلبتُه ... محلّقُ العُرفِ جارٍ خطوُه حضُرُ[8]
كالسهم أحرزَ ذكرا يومَ تُرسله ... لم يُعطِه أبواه القوسُ والوتَرُ
عُصارةٌ فضلتْ فى الطِّيبِ طيبتَها ... والخمرُ أطيبُ شىءٍ منه يُعتصَرُ

(١) فى الأصل "فخر". (٢) فى الأصل "انقلبت". (٣) القرب: طلب الماء ليلا.
(٤) أرِمّ: سكت. (٥) الشهب: البيض، ويكنى بالبياض عن الجدب والقحط. (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل. (٧) صلّى الجوادُ اذا جاء بعد الذى جَلّى. (٨) الحُضُر: ارتفاع الفرس فى عَدْوه وقد ضُمّت الضاد للضرورة الشعرية.

لايعدَم "الصاحبَ" ابنُ الليل قوَّسهُ ... طـــولُ السُّرَى وتَنِقِّي[1] عظمَه السَّفرُ

فـــوَّزَ فى البيـــدِ لا ظـــلٌّ يَفِيء له ... ظُهْـــرًا ولا يتّقيه من ندًى سَحَـــرُ

تَرمِى به غرَضَ الأخطـــارِ حاجتُهُ ... يحـــلو له الملحُ أو يصفو له الكَدِرُ

يُحِسُّ أو يـــتراءى[2] كلَّ مُخالِفَـــةٍ[3] ... لا سمعَ يَصـــدُقُه فيهـا ولا نظـــرُ

يَرَى سماوتَه[4] فى المـاءِ يُنكِرُها ... من طول ما اختلفتْ فى عينه الصُّوَرُ

حتى اذا ملَّت الأقـــدارُ شِقـــوتَه ... وحان من سعيه أن يُدرِكَ الظفـــرُ

آنَسَ من جوده نارا مبشـــرةً ... بـــبَرْدِ عيشته من حيثُ تستعـــرُ

بِفـــاء يقتافُها حتى أصاب قِـــرًى ... يأخذُ منـــه اشتطاطَ النفسِ أو يذَرُ

بينـا تكونُ البـــدورُ الطائفاتُ به ... ولائدا وتُذَكِّى للقِـــرَى البِـــدَرُ[5]

فلا خلا منـه ربعُ الفضـــلِ يعمُرُه[6] ... بالمـال يُقسَمُ والأفـــوالِ تُدَّخَرُ

وبَيْضـــةِ الملكِ يحميهـا فما كَرِبَت[7] ... مـــذ قام يَشعَبُها بالرأى تنفطـــرُ

تيمَّنوا باسمـه حتى لقـــد وثِقـوا ... لو سار فى غير جيشٍ أنهـــم نُصِروا

طلقُ المقيبـــةِ لم يعقِـــل سعايته[8] ... عن مطلبٍ "رجبٌ" يُخشَى ولا "صَفَرُ"

غَرَّرَ فى العـــزِّ حتى نال غايتَـــهُ ... وجانبُ العزِّ مركوبٌ له الغَرَرُ

لو عِيبَ ما عابه شيءٌ يُزَنُّ[9] به ... من النقيصـــةِ إلا أنه بشـــرُ

حلا له الحمـــدُ حتى ما له ثمـــنٌ ... يغـــلو عليـــه وحتى مالُهُ هـــدَرُ

---

(١) تَنِقّى : استخرج النِّقْىَ وهو المخّ . (٢) يتراءى بمعنى يرى ، وفى الأصل "تنزأ" .

(٣) المخالفة : السحابة تُطمِعُ فى النزول ثم تَنكُصُ عنه . (٤) سماوته : شخصه . (٥) يريد ذوات البدر جمع بَدَرة وهى جلد السخلة . (٦) فى الأصل "يعموه" . (٧) كربت : يقال كرب بفعل أى كاد يفعل وهو من أفعال المقاربة ويكثر تجريد خبرها من أن ويقلُّ اقترانه بها والمشهور فيها فتح الراء وتُنقَل كسرُها . (٨) فى الأصل "سعادته" . (٩) يزنّ به : يظنّ به أو يتّهم به .

لو وَهَبَ المرءُ بؤسَ نفسهِ سَرَفاً ... لم يَهَبِ النفسَ إلا وهو مختصرُ
عجمتُ أيامَ دهري صعبةً بكراً ... فالمُسنى وفى أيامها خَوَرُ
وكان لى عندَ حظى قبلَ وِدِّكمُ ... ثأرٌ فقمتُ بكم كالسيف أثأرُ[1]
فلن أتيئسَكم عنى وبى أبداً ... غرائبٌ وهى فى أوطانها فقرُ[2]
تسرى مراكبَ لا حسابٌ تعرِضُها ... على العيون شيات[3] كلُّها غُرَرُ
اذا تحلَّتْ فمعناها قلائدُها ... ضاع أو لفظُها أقراطُها[4] الدُّرَرُ
مما ولدتُ وإن خالفتُ منصبَها ... "كسرى" أبى وأبوها نسبةً "مُضَرُ"
تسرُّكم وتسوء الحاسدين لكم ... ونفعُ قومٍ لقومٍ غيرهم ضَرَرُ
فى كلِّ يومٍ جديدِ العهدِ مبتكرٍ ... تسوقُها لكمُ الرَّوْحاتُ والبُكَرُ
لها بأحسابها طُولٌ وما قطعتْ ... سَيْراً وفيها عن استحقاقكم قِصَرُ
وقد سمعتم سواها قابلين له ... فكيف يحنو بخالى النحلة[5] النَّصِرُ
وإن تشابهتِ الألفاظُ واتفقتْ ... فرُقَّةُ[6] الحبل شكلاً حيَّةٌ ذكرُ

* * *

وقال فى غرض له

ياليلةً ما رأتها أعينُ الغِيَرِ ... لم يبقُ لى قبلَها صفواً من الكَدَرِ
كأنها ساهمتنى فى السرور بما ... أولت فطالت، وعمرُ الليل فى القِصَرِ
بِتُّ من صبحها حتى التفتُّ الى ... وجهِ العشاء أعزِّيه عن السَّحَرِ
كم يوم سُخْطٍ صفا لى منه ليلُ رضًا ... حتى وهبتُ ذُنوبَ الشمسِ للقمرِ

(١) أثأر : أدرك ثأرى ، وأصله أثأر قلبت الثاء تاء . (٢) فقر جمع فقرة وهى العَلَز من جبل ، ويريد بذلك أن قصائده اعلامٌ فى مواطنها . (٣) شيات جمع شية وهى العلامة . (٤) فى الأصل "قراطها" . (٥) فى الأصل "النطفة" . (٦) الرقة : القطعة من حبل ال .

* * *

وكتب الى حضرة مؤيد الملك أبى علىّ الرنجىّ فى المهرجان وهو بواسط، يمدحه وقد آستبطأ خدمته، وأنكر تأخّرها عنه، ويذكر وقوف أمره فى أشياء أنعم بترتيبها من معيشته خلافاً له، وتولّى إنشادَ هذه القصيدة أبو طالب بن أيّوب

تَغَرَّبْ فبالدار الحبيبةِ دارُ ... وفُكَّ المطايا فالمُناخُ إسارُ

ولا تسأل الأقدارَ عمّا تجرّه ... مخافةَ هُلكٍ والسلامةُ عارُ

اذا لم يَسَعْها الأمنُ فى عُقر دارها ... فخاطِرْ بها، إنّ العلاءَ خِطارُ

أرى إبِلى تَعصِى الحُداةَ كأنما ... بوازِلُها تحتَ الحبالِ بِكارُ

تَقامصُ من مسّ الهوان جُنوبُها ... كأنّ الأذى طردٌ لها وعَوارُ

تَحَسَّى(١) القذَى المنزورَ من ماء أهلِها ... وتأبَى النميرَ العِدَّ وهو(٢) بحارُ

ومذ علمتْ أن الخَشاشةَ(٣) ذلّةٌ ... ففى خَطْمها من أن تُخَشَّ نِفارُ

لغيرى قِرَى ألبانِها ولحومِها ... ولاقحةٌ(٤) من أُدْمِها(٥) وحُوارُ(٦)

متى دبَّ ماءُ الضيم فيها فلم تَعُدْ ... مطىَّ قفارِ الأرض وهى قِفارُ

وإن لم تُناضِلْ من عقودِ نُسوعِها(٧) ... نصولٌ نَعَى سيبَ اللِّصابِ(٨) تبارُ(٩)

ظِرابُ(١٠) الغضا من تحت أخفافها سَفًا(١١) ... يطيشُ وأحقافُ "الغوير" حِفارُ

---

(١) تحسّى محذوفة التاء الأولى بمعنى تشرب، وفى الأصل "تحاشى" ولا تتفق والمعنى.

(٢) فى الأصل: "وهى". (٣) الخَشاشةُ: العود يوضع فى أنف البعير. (٤) اللاقحة: الناقة تقبل اللقاح، وفى الأصل "لاقحة". (٥) الأدم جمع أدماء، وهى التى فى لونها سمرة.

(٦) الحُوار: ولد الناقة من حين يرضع الى أن يُفطم. (٧) نسوع جمع نِسع وهو سَيْرٌ أو حبلٌ من أَدَم تشدّ به الرِّحال. (٨) اللِّصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى، ويقال: "أعذب من ماء اللصاب".

(٩) التَّبار: الهلاك. (١٠) ظِراب جمع ظَرِب وهو ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طَرَفُه، وفى الأصل "طراب". (١١) السفا: التراب الذى تسفيه الريح.

كأنّ السياطَ يقتلعنَ اذا هوت ... سفائنَ منها ، والسرابُ بحارُ
مُقامى على "الزَّوراء" وهى حبيبةٌ ... مع الظُّلم غَبنٌ للعُلا وخَسارُ
وكم حَلَّةٍ بجفوةٍ ولها الهوى ... وأُخرَى لها البغضاءُ وهْى تُزارُ
وفى غيرها المجدُ الذى كان مَرَّةً ... لها شرفٌ فى قُربه وفخارُ
اذا حَمَلَتْ أرضٌ ترابَ مدينةٍ ... فليس عليها للكريم قَرارُ
وكم عزمةٍ مرتاضةٍ قد وكبتُها ... فخضْتُ بها الحاجاتِ وهْى عِمارُ
وذى سِنَةٍ جُمِّعتُ بالنوم عينَه ... وأجفانُه عَصْفًا عليه طَوَّارُ (١)
صَحَا لى وقد ناديتُ من سَكرةِ الكرى ... وقد دار فى عينَيْه منه عُقارُ
تجزَّتُ أقصَى جوده وهو كارهٌ ... ولم يك للمولَى على خِيارُ
وليلٍ أضافَ الصبحَ تحت جَناحه ... وحُصَّ فلم يرفعْهُ عنه مَطارُ
هجمتُ عليه قادحا ببصيرتى ... دُجاهُ ، ولِلُّ الزِّبرقانِ (٢) نَهارُ
ومُشترِفٍ (٣) من العفافِ أطاعتُه (٤) ... وقد نام واشٍ وٱستقام نُوارُ (٥)
فلم يَتَوَصَّمْنى وسادُ علوتُه ... بعيبٍ ولم يَشهَدْ على إزارُ
وقافيةٍ أسهلتُ مجرَى طريقها ... لها فى حُلوقِ القائلين عِثارُ
نُضارٌ من القول الذى لم يُرَدْ به ... لُحينٌ ولم يوجد عليه نُضارُ
اذا ما ٱستبقْن الحسنَ يُبسطْن عن فمى ... شَرَدْنَ فلم يُعلَقْ لهن غُبارُ (٦)
يعيّرنى قومٌ خلوٌّ معاطنى ... وفيهم رُغاءٌ (٧) ما ٱشتَهَوا ونُعارُ (٨)

(١) الطَّوار : ما كان على حَذ الشىء أو بحذائه . (٢) الزبرقان : البدر . (٣) المشترف : المكان يشرف عليه . (٤) أطاعته : طلعته وعلته . (٥) النَّوار : النُّفور من الرِّيبة . (٦) فى الأصل "عمار" ولعلها "عِصار" وهو أيضا الغبار الشديد . (٧) الرغاء : تصويت الإبل ، وفى الأصل "دغاء" . (٨) النعار : الصياح والتصويت بالخيشوم ، وفى الأصل هكذا "معار" .

ولا عيبَ أن أهززتُ وحدى وأسمَعوا ... اذا أنا أنجدتُ العـــلاءَ وغاروا
ولستَ ترى الأجسامَ وهى ضئيلةٌ ... تواصـــلُ إلا والنفـــوسُ كِبارُ
خفيتُ ونُورى كامنٌ فى قناعتى ... وما كلُّ ما غَـــمَّ الهـــلالَ سِرارُ
وكيف أذود النومَ أحشى خَصاصةً ... ولى من كلاءاتِ الوزير جِـــوارُ
ونعماه ، إن دهرى أغار حُـــاتُه ... على الخُتر من مسّ الهـــوانِ، تَغارُ
اذا ضمّنى "مـــؤيّد الملك" مانعـــا ... فما لدمِ الأيّام عنـــدِى ثارُ
تُكولى اذا أسكنتُ أطرافَ حبله ... قُـــوًى وٱفتقارى فى ذَراه يَسارُ
سقى اللهُ ماءَ النصر كفًّا بنانُهـــا (١) ... غصـــونٌ لهـــا دُرُّ البحار ثِمارُ
وحيًّا على رغم الكواكب غُرَّةً (٢) ... أسِـــرَّتُها للعتفين مَنارُ
ترى الرزق شَقَّانا وراء ٱبتسامِها ... كما شَقَّ عن لَمـــع البروق قِطارُ (٣)
وزاد ٱنبساطا فى الممالك راحةٌ ... يمـــينُ الحيا إن جاودتْه يَسارُ
من القـــوم لو طار الفخارُ بمعشرٍ (٤) ... الى غايةٍ فـــوق السماء لطاروا
بَنى الملكِ ، والدنيا بماءِ شبابها ... وأيّامُها زُغْبٌ (٥) قـــلوبٌ صِغارُ
خيامٌ على أطنابها "رُنّجيّـــةٌ" ... لها فى سماواتِ الفخار ديارُ
وزيريّةٌ جَدًّا بخَـــدًّا يَعُـــدُّها ... على المجـــدِ عرقٌ ضاربٌ ونجارُ
يُراحُ عليها بالعشىّ لَبـــونُها (٦) ... اذا رُوِّحتْ على البيوتِ عِشارُ (٧)
وشَقَّ دُجُنّاتِ الخطـــوبِ برأيه ... بصـــيرٌ له سِرُّ الغيـــوب جِهارُ

(١) فى الأصل "بناتها" . (٢) فى الأصل "الكواعب" وليست بوجيهة ولعلها محرفة كما رجحنا . (٣) قطار جمع قَطر وهو المطر . (٤) فى الأصل "إن" . (٥) زغب جمع أزغب وهو الفرخ بيّن ريشه الخفيف . (٦) اللبون : غزيرة اللبن . (٧) عِشار جمع عُشَراء وهى الناقة مضى على حملها عشرة أشهر وعُشَراء ونِشار كنُفَساء ونِفاس ولا ثالث لهما .

اذا رَدَّ فى أعطافه لحظاتِه ... تشعشَعَ سِربالٌ[1] له وصِدارُ
قريبُ الجَنَى حُلوٌ لأيدى عفاتِه ... وأشوسُ بين العاقرين مُرارُ
اذا ما بدا للعين راقت بشاشةٌ ... عليه وراعت هيبةٌ ووقارُ
فيُطمِعُ فيه ثغرُه حين يُجتَدَى ... ويؤيِسُ منه الأنفُ حين يَغارُ
له اللهُ[2] من مُلكٍ حميت سريرَه ... وغايتُه[3] للطامعين وِجارُ
وقد نام عنه الدافعون وكُشِّفتْ ... خَباياه للأبصارِ وهى عَوارُ[4]
مددتَ بباعيْه فلم يُرَ معصمٌ ... له بارزًا إلا وأنتَ سِوارُ
وغَرَّ بك الأعداءَ خُلْقٌ مسالمٌ ... لهم وخلالٌ أن رضيتَ خِيارُ
وما علموا أنّ النصولَ شوارعٌ ... على عَلَقِ[5] الأكبادِ وهى طِرارُ
فإنّ رقابَ الأُسْدِ دون عراكها ... مصارعُ للآجالِ وهى قِصارُ
وقد جرَّبوا عزميك والجودُ ساكنٌ ... على السِّلم والنقعُ الأغَمُّ[6] مُثارُ
وكم لك من يومٍ يخيمُ[7] شجاعُه ... ولا يَصِمُ المهزومَ منه فِرارُ[8]
تناكَرَ عنه المدّعون فلم يكن ... سوى أسمك للأبطالِ فيه شِعارُ
وقفتَ له والمرهفاتُ كأنها ... ذُبًى[9] فوق بَيْضِ[10] الدارعين مُطارُ
ولو أنّ حدَّ السيف خانك دونه ... وَفَى لك جَدٌّ لم يَعُقْه عِثارُ
أَسِلْ[11] مُزنتَىْ كفّيك يَغرَقْ بها العِدا ... وسِمْ[12] بأسمك الأعداءَ فاسمُك نارُ

(١) الصدار : قميص صغير يلى الجسد . (٢) فى الأصل " لك الله " ولعله تحريف .
(٣) الوجار : الجحر . (٤) العَوار : العيب . (٥) العلق : الدم الغليظ الشديد الحمرة ، وفى الأصل "علق" . (٦) الأغم : المظلم ، وفى الأصل " الأعظم " . (٧) يخيم : يجبن وينكص ، وفى الأصل هكذا " يحتم " . (٨) فى الأصل " قرار " . (٩) الذبى : الجراد .
(١٠) بيض جمع بَيضة وهى الخُوذة من الحديد توضع على الرأس . (١١) فى الأصل " أسا " .
(١٢) سم : فعل أمر من وسم بمعنى كوى ومنه الميسم وهو الحديدة التى يُكوَى بها ، وفى الأصل "شم" .

ولا تَلْقَ يـــومَ الرَّوع إلا مُصالتا ... بجَـــدِّك إن كلَّت ظُبًا وشِـفارُ

فإن لجُرح الســـيف لا بـــدَّ ثائرا ... [له] (١) وجراحات الجدود (٢) جُبـارُ

قضى اللهُ فى حُسَّادِ ملكك أنهـــم ... وَقودٌ وأنّ الغيـــظ منك شرارُ

فألسنُهم غَيظًا بوارِدُ (٣) رَطْبَةٌ (٤) ... وأكبادُهم خلفَ الضـــلوع حِرارُ

تناهَوْا (٥) حِـذارا أن يُعَلَّ حديثُهـم ... فمـا بين كلِّ اثنين فيـك سِرارُ

ولاموا نجـومَ السعدِ جهلا وإنمـا ... تدورُ تلك الأفـــلاكُ حيث تُدارُ

تُواقِفُ أقدامَ الأســـودِ كأنمـا ... جَنابُك عزًّا أن يُرامَ مُغَـارُ

وتَخجَلُ من دفع الحقـــوقِ كأنمـا ... لثامُك من فـــرط الحياء خِمارُ

أجبْ دعوةً ياسـيّد الوزراء لم ... تُجِبْهـا قريبـا إذ دعتْـك مِرارُ

تناديك عن شوق (٦)، مواقدُ نارها ... فـؤادى، وأنفاسى الحِـرارُ أُوارُ (٧)

أُداريه خوفَ الشامتين، وظاهرى ... قِياسٌ (٨) لما فى باطنى وعِيـارُ

الى كم يُقِـلُّ البعدُ ظهرِى (٩) وكم يُرى ... بجنبى على جمـــر الفراق قَـــرارُ

كأنى حيـالَ البعـــدِ بينى وبينكم ... يُقِـــدُّ أديمى أو حشاىَ تُعـارُ

ولَيتَ الزمانَ المطـــربى بأقترابكم ... كما زال سُكْرٌ منـــه زال خُمارُ

يكاد نزاعى نحوكم أن يطـــيرَ بى ... وهـــل لقصيص فى السماءِ مطـارُ

وأُطمِعَ قـــومٌ بعدكم فى تهضُّمى ... فشـــنُّوا على أحسابكم وأغاروا

---

(١) هذه الكلمة ليست فى الأصل. (٢) فى الأصل "الحدرد". (٣، ٤) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا "بوارد طه". (٥) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا "ساهرا"، وقد صحفناها الى تناهوا وتباهوا فوجدنا الأولى أحقّ بتأدية المعنى ومعناها نهى بعضهم بعضا. (٦) فى الأصل هكذا "مواقد نار". (٧) الأوار: حر النار. (٨) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

* أداريه خوف الشامتين بظاهرين * الخ

(٩) فى الأصل "ترى".

ولم يعلموا مقدارَ عَطفةِ جودكم ... على نفسٍ بهم وضِرارُ
اذا حبسوا الماءَ الذى سُقتموهُ لى ... فمن أين تُسقَى سَرحتى وتُمارُ
وقد علموا أن لا أوتباعَ لَيْلكم ... ولا الثوبُ مما تلبسون (١) مُعارُ
عسى الله أن يقضى بإيابكم ... فيُدرِكَ من أغى التقاضِىَ ثارُ
بكلِّ عزيزٍ بذلُها عند قومها ... هَا منصبٌ مع حُسنها ونجارُ
اذا خطرتْ بين الرُّواةِ حسبتهم ... يمانين فيها يحملون عِطارُ
تَنِمُّ بما فيها كأنَّ طروسَها ... لطائمُ أهدتْها اليك "صُحارُ" (٢)
تَضوَّعُ رَنْدًا "فارسيًّا" لجنسها ... "وللعُرْبِ" فيها حنوةٌ (٣) وعرارُ (٤)
اذا جُلِبَتْ عَطْلَى (٥) عليك فحُبُّها ... عُلاكَ وحُسنُ الاستماعِ نثارُ
على المهرجان وسمةٌ من جمالها ... "عَرُوبةُ" (٦) منها فاصلٌ وشيارُ (٧)
لئن قَصَّر المقدارُ خَطوِىَ عنكُمُ ... فلى غايةٌ فى بعثها وقُصارُ (٨)

* * *

وقال وقد جَرَتْ نَبوةٌ للصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم بالحضرة ونُمُوٌّ مع سلطانه فى خطاب، فاقتضت اعتزالَه عما كان اليه ولزومَ بيته، ثم عاد أمرُه الى أحسن ما كان عليه رتبةً وارتقاءً وتمكّنا من الحضرة وانبساطا، وأفيضت المكارمُ عليه (٩)، وضُوعِف الإحسان اليه، وكتب بها اليه يُعلمه بما تجدد، ويذكر التهنئةَ وذِكرَ الحالِ، ويحثُّه على إبانة مسرّته بما كان يقول فيها، وأنفذها الى واسط

(١) فى الأصل "يلبسون". (٢) صُحار: قصبةُ عُمان وهى مدينة لَيس على بحر الصين أجلّ منها وهى عامرة ومشهورة بطيب هوائها وخيراتها وأسواقها. (٣) الحنوة: نباتٌ طيّب الريح. (٤) العرار: النرجس البرّى أو هو بهارٌ ناعمٌ أصفرُ طيّبُ النكهة. (٥) عطلَ: غير متحلّية. (٦) عروبة: اسم ليوم الجمعة تعريب "أُربا" النبطية او "عَروبَتا" السُّريانية. (٧) شِيار: اسم ليوم السبت، ولعله أراد تشبيه قصائده بيوم الجمعة والسبت لحلال مقامهما عند المسلمين وبعض أهل الكتاب. (٨) القُصار: الغاية. (٩) فى الأصل "اليه".

هل تَقبلون إنابةَ الدهرِ ... أم تُنصتون له الى عُذرِ
أم تعرفون لقُربِ رَجعتِهِ ... ما كان همَّ بهِ من الغدرِ (١)
فلقد أتاكم يستظلُّ بكم (٢) ... من حَرِّ سخطكُمُ ويستذرى (٣)
متنصِّلا من هفوةٍ ، يدُهُ ... كادت تَشُلُّ (٤) بها وما يدرى
خزيانَ يُقسِمُ : لا سعَى أبدا ... للمجدِ فى وَهْنٍ ولا عَقْرِ
وَسْمُ الندامةِ فوق جبهتِهِ ... ويداه بالإقرارِ فى أسرِ
يَلقَى الجراحةَ بالدوامل (٥) من ... إقلاعِهِ والكَسْرَ بالجَبْرِ
فاستعملوا البُقيا التى فُطِرتْ ... فيها حلومُكُمُ من الصخرِ
واستعبدوه بعفوكم فلكم ... بالجود من عبدٍ لكم حُرِّ
وأنا الزعيمُ لكم بعُهدتِهِ (٦) ... ووفائِهِ وشفيعُهُ شِعرى
قد كان غمرا لم يجد خورا ... وأظافرا خدشت ولم تفرِ
ونوافذًا حرشت فما لقيت (٧) ... حَرِجًا (٨) ولا متقبِّضَ الصَّدرِ
أذُنٌ تمجُّ الهُجْرَ تسمعه ... ونسانُ صِدقٍ حاضرُ النَّصرِ
طرفٌ أشمُّ من الرجال أبَى ... فى الضيم أن يُعزَى الى صَبرِ
ومودَّةٌ كلمتْ فعوَّرها (٩) ... نَبْذٌ من الإعراض والهَجْرِ
عتْبٌ تخلَّص فى تراجمه ... من عثرة الفحشاءِ والهُجْرِ
لم يحترش ضَغَنًا (١٠) ولا حُنِيتْ ... عُوجُ الضلوع له على غمرِ
مَدَّ الوشاةُ له رقابَهُمُ ... يتطلعون عواقبَ المكرِ

(١) فى الأصل "العذر". (٢) فى الأصل "يستطيل". (٣) يستذرى : يستظل ويلتجئ.
(٤) فى الأصل "كانت تسل". (٥) الدوامل جمع داملة وهى ما تُبرئ الجرح. (٦) العهدة : الرجعة الى الإصلاح. (٧) حرشت : خشنت. (٨) الحرِج : الضيِّق وفى الأصل "تَرَحًا".
(٩) عوَّرها : جعل بها عوارا. (١٠) لم يحترش : لم يَجْمَع، وفى الأصل "تحترس".

يرمون بالأبصار رائدةً أنّى تصوبُ سحابةُ النشرِ
ظنّوا اليدَ اليمنى اذا بطشتْ قعدتْ بيسراها عن النصرِ
والنيّران و إن هما آختلفا فالشمسُ لا تُرتابُ بالبدرِ
يا خاب سعيُ مرقّشين(١) مشوا بالغشّ بين الماء والخمرِ
ومسوّلين نفوسَهم حسدا أن القِطارَ تُظنُّ كالبحرِ
خبطوا من التمويه فى ظُلَمٍ أسفرن عن مُستَبْهَمٍ وعرِ
لا يستقرُّ به الدليلُ على قصٍّ ولا يحنو على السَّفْوِ
قد عانقوا فيه رحالَهُمُ من قائفٍ أثَرًا(٢) ومستقرى
يَغلى الهجيرُ بهم اذا آغتمسوا فى الآلِ غلْىَ الماءِ فى القِدرِ
نجواهُمُ فيه اذا آشتوروا : يانيتَ لم نركبْكَ من ظَهْرِ
قد طأمنتْ فقعوا لها وضعوا الـ ـجبهات موجةَ ذلك العِبْرِ
وأفاقت الأيّام وآعترفت بمكانِ جهلتها على السُّكْرِ
فتساندوا أسفا الى صَدَفٍ(٣) هاوٍ على ممطولةِ القعرِ
ملساءَ لا تجد الاكفُّ بها عَلَقًا(٤) بأنملةٍ ولا ظُفُرِ
عَضُّوا(٥) الحصا إن لان من كمدٍ لضروسكم وآمشُوا على الجمرِ
الله أحسنُ للعلا نظرا وأبرُّ بالمعروفِ والبرِّ
وأشدُّ ضَنًّا(٦) بالمحاسن أن يُقوِينَ من عَيْنٍ ومن أثَرِ(٧)
أو أن تُعطَّلَ(٨) بالذى زعموا سُنَنُ الهدَى ومواسمُ الشكرِ

(١) مرقّشين : مزوّرين . (٢) القائف والمستقرى : المتتبع الأثر وغيره . (٣) فى الأصل "صدق" . (٤) العلق : مصدر بمعنى العلق . (٥) فى الأصل : "غضّوا" . (٦) فى الأصل "صها" . (٧) يريد "أثَر" وسكنت الثاء للضرورة . (٨) فى الأصل "تعطلى" .

والمُلكُ يعـلم أيَّ[1] سيفٍ وغَّى ... يَمضى وسهمٍ رميَّـة يبرى
وترى الرجالَ وفوتَ[2] بينهـم ... مثلَ البهامِ[3] تُقاس بالغُـرِّ[4]
فيُعَدُّ للجُـلِّى أتمُّهـم ... باعا وأحفظُهم قُـوَى أسْرِ[5]
وأخفُّهم فى صدر موكبه ... سَرْجا وأثقلُهم على الصـدرِ
ورأوا ظلامَ الأمر منذُ خبا ... عنهـم سراجُ النَّهى والأمرِ
قبضوا الذراعَ الرحبَ واعتقدوا ... أنّ السماء تُقاسُ بالفِـتْرِ
واستصغروا عفوَ اللبيب فما اسـ ... ـتغنَوا بجهـل الغافل الغَـمْرِ
حتى اذا أبَّتْ[6] حلومُهـم ... فرًّا طليعـةَ رأيهـم تَسرى،
عادوا وقـد خَفَّ البُغاثُ بهم ... يستطعمون مخالبَ النَّسرِ
فأقـلْ عِثارَهُمُ فإنهـم ... رجعوا اليك رجـوعَ مضْطَرِّ
واحمل ـ كما عوَّدتَ ـ ثقلَهُمُ ... وانهض لهم بالنفع والضرِّ
وأعـدْ مناكبهم كما أَلِفتْ ... منك من ثياب العزّ والفخـرِ
وتمَـلَّ ما أُلبستَ من نِعَمٍ ... تكسو الزمانَ بهـا ولا تعرى
هذى ثمارُ الحلم مُجلَبـةٌ[7] ... فتهنَّها ونتيجـة الصَّـبْرِ
وعواقب الحسنى، وواحدة الـ ... ـحسنات عنـد الله بالعَشْرِ[8]
قد كابلوك بقـدر وُسعهمُ ... من رفع منزلةٍ ومن قـدرِ
فاقنع ولا تُخجِلْ مَكارمَهـم ... بظـلالِ عالٍ مالُهُ يَجرى[9]
ومتى ترمْ ما تستحقُّ فقـد ... كلَّفتُمُ ما ليس فى الدَّهرِ

(١) فى الأصل "أن". (٢) فى الاصل "وفوت". (٣) البهام: السود.
(٤) الغُرّ جمع أغرّ أو غرّاء، وفى الأصل "العر". (٥) الأسر: شدّة الخلق.
(٦) أبّت: تهيّأت للسير وتجهّزت، وفى الأصل "أنت". (٧) مجلبة: مجموعة. (٨) يشير الى قوله تعالى (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا). (٩) فى الأصل "تجرى".

شمخت بأنف عزة قعست[1] أن تستفاد بمخطم القمس[2]
ضمناء من "عبد الرحيم" لها عرق يمد إلى "منوجهر"[3]
درج الفرون وبيت مفخرها عالى العماد مخلد الذكر
طابت أحاديث[4] الملوك ولا كالعرف من آبائك الغر
الناضلين بكل صائبة[5] في الرأى ضافية[6] على النفر
سيارة في الأرض مثنتها[7] بالعدل مسير الأنجم الزهر
والباسطين لمنع جانبهم بوعا تطول على القنا السمر
واذا الكماة دعوا فصدهم حين يغالط عنه بالوقر
شدوا الفجاج الى صريخهم[8] يتكاثرون تكاثر القطر
لهم الجفان البيض ضاحكة تحت الليالى الكلح الغبر
يتنازعون على الحديث بها يقوى مقلهم على المرى
كرماء معترفون إن طرقت أم السنين بحادث نكر
صبروا على البؤسى تعمهم فكأنهم أثروا من الفقر
أنشرتهم بعد الدثور كما ولدوك بعد النطى والنشر
بك أورقت للمجد دوحته وأهتز في أفنانه الخضر
وأضاء للأقوال مسلكها فمضى النجاح بركبها يسرى
حلف السماح عليك : لا وصل ال أسباب بين يديك بالوقر

---

(١) قعست : علت وعزت . (٢) المخطم : حبل يقتاد به البعير ويثنى على خطمه أى أنفه .
(٣) منوجهر : أحد ملوك الفرس . (٤) في الأصل "أحاديث" . (٥) ضافية : سابغة تقوم مقام الدرع ؛ وفي الأصل "صافية" . (٦) النفر : القوم يتفرون معك ويتناضلون في القتال . (٧) في الأصل "بالعدل" . (٨) في الأصل "ضريحهم" .

ومن العجائب أن تطيعك فى ... قَبْضٍ[1] بدا هى جدولٌ يجـــرى
أنا ذلك المـــولى المقيمُ على ... صدقِ الهوى وسلامةِ الصدرِ
محفوظةٌ عنـــدى ودائعكم ... فى الودّ حفظَ نفائسِ الذّخر
خَـــلِّ الأقاربُ عنكمُ ويدى ... معصومةٌ بكمُ الى الحشـــرِ (١٥٩)
لا نبـــوةُ الدنيا تغـــيّرنى ... عنكم ولا متغـــيّرُ الأمرِ
ناديكمُ ظِـــلّى ودولتكم ... عِزّى وعمرُ سعودكم عمـــرى
جاهرتُ فيكم بالعـــداوةِ مَنْ ... تُخشَى العـــداوةُ منه فى السِّرّ
ولقيتُ قـــوما دونكم كرهوا ... أيّامكم بقـــواصمِ الظهـــرِ
كم قـــولةٍ جرّعتُ قائلَها ... غُصصا بتكذيبٍ له مُرّ
وحملتُ أخرَى خفتُ صاحبَها ... أطوِى الجناحَ له على الكَسْرِ
حتى تَسرَّى الخطبُ وانفرجتْ ... كُرَبُ الدُّجى بتبلُّج الفجـــرِ
فالآن يانفسى لهـــا انفسحى ... جَذَلا وياعينى لهـــا قَـــرِّى
وانهض بجهدك يالسانىَ فى الـ ... ـبُشرَى لهـــا وتصَفَّ يافكرى
وابعث ضوارعَ[2] عنك نائبـــةً ... إن أخّرتْك عـــوائقُ الدهرِ
ولآجةً، تطأ الصـــدورَ بهـــا ... كَلِـــمٌ توسّعُ ضيقَ العُـــذرِ
نَفّـــاثةَ العُقُـــداتِ تحسبُهـــا ... هبطتْ الى "هاروتَ" بالسحرِ
وكأنما نَفَضَ التّجارُ بهـــا ... بين البيوت حقائبَ العِطـــرِ
يَشقَى بهـــا المتحرّشـــون[3] كما ... تشقَى يدُ المشتـــارِ[4] بالدَّبـــرِ[5]
فاستقبلوا غُرَرا مُوَحّـــدةً ... سيقتْ لكم من واحدِ العصرِ

(١) فى الأصل "قض" . (٢) ضوارع : ممتهلات ، وفى الأصل "صوادع" .
(٣) المتحرشون : المتعرضون ، وقد وردت هـذه الكلمة فى الأصل هكذا "المحوسرن" .
(٤) المشتار : جانى العسل . (٥) الدبر : جماعة النحل .

وتمسّكوا منّى بجوهرة الـ ... مغواص وآحموا معدن التبر
وآقضوا نذورَ الشّعر فىّ فقد ... قَضَيْتُ فيكم شاكرا نَذْرى

* * *

وقال وكتب بها إلى أبى المعالى فى النيروز

اذا رُفِعَتْ من "شَرَافَ" الحدورُ ... فصبرَك إن قلتَ : إنى صبورُ
ستعلمُ كيف يُطَلُّ القتيـ ... ـلُ بعد النوى ويُذَلُّ الأسيرُ
فإن كنتَ منتصرا فاستقدْ ... بثأرك والعيسُ عَجلَى تثورُ
وإلّا فإنْ جانبا للفراقِ ... فما كنتَ أوّلَ جَلْدٍ يخورُ
ألا تُسعدانى بعينيْكما ... وما كنتُ قبل الهوى أستعيرُ
فقد حار لحظىَ بين اثنتين : ... هوًى منجدٍ وخليط يغورُ
ترى العينُ ما لا يراه الفؤادُ ... فيقصِدُ قلبى وطرفى يجورُ (١)
وقفتُ وقد فاتنى بالحُمو ... لِ غضبانُ ليلٍ سراه قصيرُ
عنيفٌ اذا ساقَ لم يلتفتْ ... لساقٍ تَطيحُ ومخٍّ يَرِيرُ (٢)
كفاه مع العيس حسنَ النشاط ... حنينىَ فى إثرها والزفيرُ
ولما تعيَّفتُ فاستعجمت ... مَيامنُ كانت بخيرٍ تطيرُ
ولم ادرِ والشكُّ يَنفِى اليَقينَ (٣) ... إلى أىِّ شِقٍّ طريقى أصيرُ
تَنَبَّهَ، من هاجعاتِ الرياحِ ... فدلَّ عليكم، نَسيمٌ عطيرُ
وخاطَفَ عينىَ برقٌ تُسا ... مُ فى حافَتيْه الطُّلَى والنحورُ
وفى الظُّعْنِ مشتبِهاتُ الجِما (٤) ... ل تَشقَى بأعجازهنّ الصدورُ

(١) فى الأصل "يحور" . (٢) يرير : يذوب . (٣) فى الأصل "إلى" .
(٤) فى الأصل "مشبهات" والبيت بها لا يتزن .

حملنَ الى قتلانا فى الجفون ... سبوها حمائلهن الشعورُ
وقُلّدنَ دُرًّا نحدّرنَ عنه ... كأنّ قلائدهنّ النحورُ
بكيتُ دمًا يوم "سفح الغوير" ... وذاك لهم ـ وهو جهدى ـ يسيرُ
ومن عجبِ الحبّ قَطْرُ الدما ... ءِ من مقلتى وفؤادى العقيرُ
وليلٍ تعمّق فيه الصباحُ ... فما يستبينُ وما يستنيرُ
يعود بأوّلِ نصفيه لى ... اذا قلتُ : كاد وجاء الأخيرُ
كأنّ سنا الفجر حيرانَ فيـ ... ـه أعمى تقاعدَ عنه بصيرُ
نسيرُ به ونحطُّ الركابَ[1] ... وغيهبُه جانح لا يسيرُ
كأنّ الثريّا على جنحه ... يدى من مقام الهوى تستجيرُ[2]
سريتُ أشاورُ فيه النجومَ ... ومالِىَ بالصبح فيها بشيرُ
إلى حاجةٍ فى العلا همّتى ... إليها تطول وحظّى قصيرُ
وهل ينفعُ الرمحَ ، ما لم يُنَطْ ... بكفّ أطاعنُه نصلُ طويرُ
عَذيرِىَ من وجه دهرى الوقاحِ ... وأين من المنيجنّى عَذيرُ[3]
ومن غَدرِ أيّامه العادياتِ ... على ما أذمّتْ عليه تُغيرُ[4]
ألم يكفِها أنّ غصنَ الصّبا ... ذوَى واستردّ الشبابَ المعيرُ
ولو نظرتْ حسنا لم تَمِلْ ... علىّ ومالِىَ فيها نظيرُ
ومولًى اذا أنا قلتُ : أحتكم ... تفاحشَ يحبسنى أو يجورُ[5][6]
رمانى وقال : أحترسْ من سواىَ ... ليشعَبَ قلبىَ منه الفُطورُ

(١) فى الأصل "يسير به ويحطّ الركاب" .
(٢) معناه أن أنجم الثريا تشبه يده حين يرفعها مستعينا من الحبّ .
(٣) فى الأصل "عذر" .
(٤) فى الأصل "تعير" .
(٥) فى الأصل يحسنى .
(٦) فى الأصل "يجور" .

ألم يأتــه أنــه لا يُجَسّ[1] غَوري ولا يطّيبني الغــؤور[2]
وأن حِمَى "هيبــة الله" فى من الضيم لو رام ضيمى مجيرُ
ومن يعتصمْ بمعالى "أبى الـ ـمعالى" يبتْ كوكبا لا يغورُ
يبِتْ للغــزالة من دونه ذراعٌ قصيرٌ وطرفٌ حسيرُ
حَمَى سَرحَ ســودَده أن يرا عَ أشوسُ دون حِماه هصورُ
وقام بنُصــرة إحسـانه فتًى لا يُخــذَّلُ وهو النصيرُ
طليقُ المحيــا اذا ياســروه وجَهــمٌ اذا حاربوه عســيرُ
له خُلُقــانِ من المـاء ذا لكَ ملحٌ وهذا فُــراتٌ نميرُ
وطعانٍ إن طَمِعَ الحلوفيـ ـه قام يدافعُ عنــه المــريرُ
اذا انتُهكتْ للعــلا حُرمةٌ تَمَــرَ منــه أبيٌّ غيــورُ
وإن جئتَ محتلبــا كفَّــه سقى من أوامك ضرعٌ دَرورُ
وفَى بالسيادة لَدْنَ القضيبِ[3] ولم تتعاقبْ عليــه العصورُ
ورُشْحٍ عاتقُــه للنِّجــاد ولم تُــلْقَ أخرازُه والسـيورُ
حمولٌ قــويمُ قناةِ الفقــارِ[4] اذا ركبتْ للخطوبِ الظهورُ
رحيبُ الأضالـع ثبْتٌ اذا تنفَّس من ضيقهن الضَّجورُ
غــنيٌّ بأولِ آرائــه اذا ما استبــدَّ فما يستشيرُ
سمــاتُ ابنِ عشرين فى وجهِهِ وفى حلمــه عشراتٌ كثيرُ
كريمٌ تفــرَّع من أكرمي ـنَ كَوْرُ[5] فخــارهم لا يحــورُ[6]

(١) فى الأصل "يحس" . (٢) الغؤور : الدخول فى الشىء . (٣) لدن القضيب : كناية عن غضارته وصغر سنه . (٤) قناة الفقار : كناية عن العمود الفقرىّ . (٥) الكَوْر : الزيادة . (٦) لا يحور : لا ينقُص ، ومنه الحديث "نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر" ، وفى الأصل "لا يخور" .

وسُومُهم فى جباهِ الدهـــو ر بالعــزِّ تبقَى وتفنَى الدهورُ
اذا مات منهـــم فتًى فابنُـــه حيـاةٌ لسؤددُه أو نشـــورُ
بنَى البيتَ لا ترتقى الفاحشاتُ اليـهِ ولو حَمَلتْهـا النُّســـورُ
رفيـعُ العمادِ تـــرى بيتَـــه مكانَ ابْتِنى منكبيْـه "ثَبِيرُ"(١)
تزالَقُ عنـــه لحـاظُ العيونِ فترجعُ عن أفْقِـهِ وهْى زُورُ(٢)
ولو لم يكنْ فى العلوِّ السماءَ لمـا طلَعتْ منه هذى البدورُ
لنـــيرانهـم فى مُتونِ اليفَاعِ لحـاظٌ الى طارق الليل صُورُ(٣)
مواقـــدُ تُضرَمُ بالمنـــدلىّ(٤) وتُنحَرُ من حولهنّ البُـــدورُ
عُلًا شادَها مجدُ "عبد الرحيم" على خُطّةٍ خطّها "أردَشيرُ"
فروعٌ لهـــمْ قَـلَمُ المُلك من أصـولٍ لهـــم تاجُهُ والسريرُ
فـــداكم شقىٌّ بنُعماكُمُ تلمَّ عجْـــزا وأنتم سُـــفورُ
له حين يبطُشُ باعٌ أشـــلُّ من دونكم وجَنـاحٌ كسيرُ
ضعيفُ جناحِ الحشا بائحٌ لا سان بما ضمّ منه الضميـــرُ
يغيض بأذرعكم فِـــترُه وكيف ينـالُ الطويلَ القصيرُ
تدورُ عليـــه رَحَى غيظِـهِ بكم وعليكم تدورُ الأمـــورُ
على صـــدره حسَدٌ أن غَدَتْ بأوجهكم(٥) تستنيرُ الصـــدورُ
لكم كلّ يـــومٍ بما ساءه بشـــيرٌ ومنكم اليـــه نذيرُ

---

(١) ثبير : اسم جبل ، وفى الأصل "تبير" وهو تحريف . (٢) زور : جمع زوراء وهى المائلة فى عوج وفى الأصل "صور" . (٣) صور ، مائلات . (٤) المندلىّ : العود أو هو المنسوب الى مَنْدَل وهى بلدة بالهند . (٥) فى الأصل "بأوجهك"

فالسيف والسَّرج منكم فتًى ... أميرٌ وللدست منكم وزيرُ
وليس له غيرَ عضّ البنان ... وذمّ الزمان عليكم ظهيرُ
بكم وضحتْ سُبُل المكرُمات ... وبات سراجُ الأمانى يُنيرُ
ومالتْ الىَّ رتابُ المديـ ... ـحِ تُصحِب (١) وهى عَواصٍ (٢) فُقُورُ
وكان جبانا لسانُ السؤالِ ... فأصبح وهو جرىءٌ جسورُ
ملكتم نواصىَ هذا الكلام ... فليس بهنَّ سواكم يطورُ (٣)
لذاك وأنتم خؤولُ الرجا ... ل يهواكم الشعرُ والشعر زِيرُ (٤)
وهبْتُ لسانى وقلبى لكم ... فيوما وداذٌ ويوما شُكورُ
وأصبحتُ منكم فمن رامنى ... سواكم فذاك مَرامٌ عسيرُ
لك الخيرُ، إنى فتًى منك نِلْتُ ... نداك فأسبَلَ نوءٌ غزيرُ
وجوهرةٍ لم تلِدْ مثلَها ... على طول غوصىَ فيها البحورُ
وربَّ ندًى لك مستملَحٌ ... صغيرُك عندىَ فيه كبيرُ
يطيبُ فأبصرتَ منه مكانَ ... رضاى وغيرُك عنه صبورُ
لئن قمتَ فيه بشرط الوفاء ... على فَوْرةٍ لم يعقها فتورُ،
فما كان أوّلَ ما يعجزو ... ن عنه وأنت عليه قديرُ
وكم أمِلٍ لى حَصيصٍ (٥) وثقتُ ... بأنّ جناحك فيه يطيرُ
وعندىَ من أمّهات الجزاءِ ... وَلودٌ وأمُّ القوافى تَزورُ
تزورك فى كلّ يومٍ أغرَّ ... بحقٍّ من المدح ما فيه زُورُ

(١) تصحب : تذلّ وتنقاد . (٢) فى الأصل " عواض " . (٣) يطور : يحيط .
(٤) الزير : الرجل المنزوِى فى يحب مجالسة النساء ومحادثتهن . (٥) الحصيص : القليل الشعر، وفى الأصل " حضيض " .

أوانسُ، جـودُك من كفِّها إذا أبرزتْها اليك الخـدورُ
وأمـدحُ قوما ولكنني اليك بما قلتُ فيهـم أشيرُ

* * *

وكتب اليه فى النيروز

لِمَنِ الطُّلولُ تراقصتْ(١)؟ تَجْـوَى حشاك قِفارُها!
قفـرٌ نبـا بك ودُّها وتعلَّقتـك ديارُها
إن كنتَ أعيتهـا عدمـ ـتَ فهـذه آثارُها
دِمَنٌ كمسحبة الأز مـ ـة مُسـحَلا إمرارُها
ماتت حقائقُهـا وخُـ ـلِّدَ زُورها ومُعارُها
وامتدَّ ليـلُ السافيا ـتِ بجـوِّها ونهارُها
عندى لها إن أجدبتْ وَكَافـةٌ تمتارُها
أَنِستُ بإسبال الدمو ـعِ كأنها أشفـارُها
ونعم بكيت، فهل تبـ ـلُّ سائلا أخبارُها؟
واهًا لها من حاجةٍ لو قُضِّيَتْ أوطارُها
يا دارُ تُرْبُك والهجـ ـيرُ وأضلعى وأُوارُها
حفظا "برملةَ" إن أَلـ ـمَّ(٢) بذمـةٍ غـدَّارُها
لا ضاع ما بينى وبـ ـينك عهـدُها وذمارُها
خاتِ الليـالى من بدو رِكِ تمُّهـا وسرارُها
حتى كأنّ معيشـةً لم يحـلُ فيك مُرارُها
وتآربا برباكِ ما آسـ ـترختْ لنـا أستارُها

(١) تراقصتْ : ظهرت كأنها ترقص مع بعضها البعض لفعل السراب بها إذ يبين طلا ويخفى آخر وهو من قولهم : ترقّصت المفازة أى ارتفعت وانخفضت من فعل السراب بها . (٢) ألمّ : جحد وأنكر .

إذ كلُّ ذى هَدفين فيـ ـك كلامُها وصُوارُها[1]
ومسائح[2] الأيم بقـ ـلٌ أخضرٌ وعِذارُها
وجهيرة فى الحسن نُكـ ـتَمٌ فى الهوى أسرارُها
كثرت ضرائرها وقـ[3]ـلَّ يذلك استضرارُها
بلهاء يَرتبِطُ الحلـ ـمَ من الرجال إسارُها
خِنَت أحاديث الوشا ـةِ بها وطاب إزارُها
خُلِقَتْ معطَّرةً فخُيِّـ ـبَ كمندا عطَّارُها
وتذكَّرتْ ألفاظُها فثنَى اللثامَ خمارُها
يا صاحبىَّ، والعينُ تغـ ـنَمُ أو يُظَنُّ عُرارُها[4]
والليلةَ الطولى يُخَمَّـ ـرُ بالجفون عمارُها
طرقَتْ "زميلةُ" تجتلى ظلمَ "اللِّوى" أنوارُها
وعلى الرحال مُملَّسُو[5]ـنَ وسادُهم آكوارُها
فى ليلةٍ لم يَنْتُ[6] غيـ ـرَ حديثها سُمَّارُها
عجبا لها نُفِضتْ إلىَّ سحيقةً[7] أقطارُها
"بالنوطتين" جبالُها و"بيطن وجرةَ" دارُها
باتت تعاطينى "بنجـ ـلةَ"[8] نحلةً أشتارُها[9]

(١) الصوار : القطيع من البقر . (٢) المسائح جمع مسيحة وهى ما بين الصدغين الى الجبهة ، وفى الأصل "مسايح" . (٣) فى الأصل "كيرت" وهو تحريف بعينه نراه "قل" . (٤) العُرار : الإثم والجناية . (٥) مململون : متقلبون . (٦) ينتُ : يُذيع ، وقد ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا * فى ليلة ما سيء * الخ (٧) فى الأصل "سحيقة" .

(٨) نجلة : اسم قرية بينها وبين بعلبك ثلاثة أميال ، وفيها يقول المتنبي

ما مقامى بدار "نجلة" إلا * كمقام المسيح بين اليهود

(٩) اشتارها : أجناها وفى الأصل "أستارها" .

وتبسّمت عن بَرَقــةٍ عسلُ الرُّضابِ قِطارُها
جمــدَ الحيــا بَرَدًا[1] بها وجرَتْ يذوبُ عُقارُها
لم يألُ ناظمُ عِقــدِها نَصحا ولا نَمَّــرُها
طرقَتْ بسهلٍ والمســا لكُ صــعبةٌ أخطارُها
حَلَبَ البكيَّــةَ ثم جَــ ـدَّ من الصباحِ نِفارُها
فاذا يدى لم تَعتــلِقْ بســوى المنَى أظفارُها
ولقــد رفعتُ طلائحًا جُرْدُ[2] البطونِ قِصارُها
ضاقت مباركها وجا لت فوقَها أســتارُها
"نجدا" "تُغرّبُ" والهوَى "بمحجّــرٍ" أثمارُها
وعلى الربيئــةِ أشعثٌ سَدَّ عليــه غُبــرُها
ذو شَمْــلةٍ سَمَــلٍ[3] يُحا لِطُ جــلدَهُ أطمارُها
طابتْ [له] صحراءُ "صا"[4] رةَ[5] "أثلُها وعَرارُها
يرعى قلائصَ تُتــقَى وحصى "الأُبَيرقِ"[6] دارُها
إن ما طلتــه بغُزرِها[7] نهضت به أعيــارُها[8]
نظــرَ الربيعَ بجُهّــدٍ لبقــوله[9] أوتارُهــا
يا راعيَ البَكــراتِ ما "نجدٌ"[10] وما أخبــارُها؟
أوقِدْ بذى السُّمُراتِ[11] لى فقــد أستغمَّ مُنــارُها

(١) فى الأصل "بردائها" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "حرر" . (٣) سمل : بالية .
(٤) ليست موجودة بالأصل ويقتضيها المعنى والوزن . (٥) صارة : اسم جبل فى ديار بنى أسد .
(٦) فى الأصل "حصى" بغير واو . (٧) الغزر : اللبأ ذوات الدَّر . (٨) أعيار جمع عَيْر وهو الحمار . (٩) بالأصل "لبعوله" . (١٠) البكرات جمع بكرة وهى الفتيّة من الإبل .
(١١) ذى السمرات : ناحية من نواحى العقيق . والسمُر لغة : العضاه .

ولو أنها بضلوعيَ الـ ـموجاءِ تُذكى نارُها
إن ينتقضْ كرُّ الخطو بِ قُواى واستمرارُها،
ويردّني نقدُ العيو نِ تصادفتْ أبصارُها،
وتقومُ لى بيدَىْ مشيـ ـبِ مَفارقى أعدارُها،(١)
فاربَّ نَضرةِ(٢) عيشةٍ لى صفوُها ونُضارُها
وعَزيبةٍ(٣) من لذّةٍ راحتْ علىَّ عِشارُها
وقضيّةٍ فى الحبِّ لم يُملَلْ علىَّ خِيارُها
وصقيلةِ الأنيابِ تُشـ ـرِبُ(٤) حُلوةً أسآرُها
تقع الأمانى دونَ ما تَثنى بهِ أسحارُها(٥)
بانتْ وذِكرى طيِّبا(٦) دونَ الفراشِ شِعارُها
عرَّجتُ عنها مُعرِضا وقد استقام مَزارُها
وسلافةٍ كدمِ الغزا ـلِ تُخال مِسكًا فارُها
ممّا أعانَ عليه "طيـ ـبةَ بابلٍ" أنهارُها
غالَى بها السابونَ وآفـ ـتقد البُدورَ(٧) تِجارُها(٨)
فى بيتِ نَصرانيّةٍ باسم "المسيح" عِيارُها(٩)

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

ويقوّمى بيدى بشيبى مفارق أعدارها

(٢) فى الأصل "نظرة". (٣) هذه الكلمة بالأصل هكذا "وعرسة". (٤) فى الأصل "الأنبات". (٥) أسحار جمع سَحَر وهو الرئة ويراد بها الصدر. (٦) فى الأصل "بانت". (٧) فى الأصل "واقتعد". (٨) البدور جمع بَدْرة وهى جلد السخلة يسع عشرة آلاف درهم. (٩) العيار: ما جُعل قِطاما للشىء يقاس به ويسوّى ويقدَّر، وفى الأصل "عبار".

وَكَتِ[1] القِراف[2] بحجرِها ووِكاؤُها زُنَّارُها
ما كستُ كفَّ مديرِها وعلى هواى مَـــدارُها
لما حلَتْ رشَفاتُها لم تحـــلُ لى أوزارُها
وســـواىَ واثِبُ لذّةٍ[3] تفـــنَى ويبـــقَى عارُها
ما للرجال تروم أشـ ـواطِى الطِّوالَ قِصارُها
أحفيتُ[4] رُسغَ جيادها وتنـــوءُ بى أعيـارُها[5]
سـل ناخسـا إبلى بأ ىِّ تدنُّس عَـــوّارُها
وحمى بنى "عبد الرحيـ ـم" يحوطُها وجِوارُها
فاذا ذراهم بُزْلُها مرحـــولة وبِكارُها
أهوِنْ[6] بباغى ضيمها يوما وهـــم أنصارُها
والهضبةُ الملســاءُ تمـ ـنعُ أن يداسَ خَبارُها[7]
والدوحةُ العيناءُ تحـ ـلو للجُناة ثِمارُها[8]
ما بات يُفقِرها الندَى إلا "وثَمَّ"[9] يَسارُها
لولا تُقَى سُـــؤّالها لاستُهوِنَتْ أعمارُها
حلمـاء والكلمُ القـوا ذِعُ[10] مُغضِبٌ عـوّارُها

(١) وكت كأوكت بمعنى شـدّت بالوكاء فم القربة ، والوكاء : رباط القربة ، وفى الأصـل هكذا "رس" . (٢) فى الأصل "القراق" ولما كانت هذه الكلمة لا تؤدّى معنى اضطررنا الى تحويرها فلم نجد ما يحكيها فى حروفها إلا "القراف" وهى أوعية من جلود واحدها قَرَفٌ وإلا "الغراف" وهو المكيال العظيم الضخم ، وكلاهما يؤدّى معنًى لا بأس به فى السياق . (٣) فى الأصل "وأبث" .
(٤) فى الأصل "أخفيت" . (٥) فى الأصل هكذا "وتلوى" . (٦) فى الأصل "ضيمها" .
(٧) الخبار : ما لان من الأرض . (٨) العيناء : الخضراء . (٩) فى الأصل "وتم" .
(١٠) الذوادع : الكلمات التى فيها فحش وشتيمة .

ومعامرون إذا الكما ... ةُ تواكلتْ أعمارُها
عُرُبُ[1] الأكفِّ تمتهمْ ... من "فارسٍ" أحرارُها
سالت أنامِلهم وشا ... لت[2] أنفسٌ ونجارُها
بخّاكَ[3] آفاقُ المعا ... لى منهمُ وبحارُها
طاروا بمجدهمُ وقَـ ... ـصَّر بالنجومِ مَطارُها
ركبَ الصعابَ من ابنهم ... ركّاضُها مِغوارُها
وحمَى حقيقةَ مجدهم ... سَلِسُ القَناةِ مُمارُها[4]
لا تستباحُ مصونةٌ ... "وأبو المعالى" جارُها
يقظانُ أسهرَه اذا ... ذكرَ العيوبَ حِذارُها
قَلِقُ العزيمةِ إن حمى[5] ... صِغرَ النفوسِ فرارُها
حمّالُ ألويةِ السيا ... دةِ ثبّتُها صبّارُها
سبقَ الكهولَ وسِنُّه ... ما استُدْرِعتْ أشبارُها[6]
وجرَى فقدّمه على ... أقرانِه إقرارُها
عجبوا — وقد لفّ الجيا ... دَ الى المدى مِضمارُها —
أنّ القوارحَ أُخّرتْ ... وتقدمتْ أمهارُها
لا تعجبنّ فإنّه ... امضى النصولِ طِرارُها!
أعلى الكواكبِ فى المنا ... زلِ والعيونِ صِغارُها
هى دوحةُ المجدِ التى ... لا يُخلِفُ استمرارُها

---

(١) فى الأصل "غرب".
(٢) شالت: ارتفعت، وفى الأصل "سالت".
(٣) فى الأصل "بخال".
(٤) الممار: المتردد فى المطعون.
(٥) فى الأصل "حكى".
(٦) فى الأصل "أسفارها".

غدت الرياسةُ معصما فيها وأنتَ سِـوارُها
هى خيرُ أهلِ زمانِها بيتا وأنتَ خِيارُها
إن السماء اذا ســرتْ معــدودةً أنوارُهـا
كثُرَتْ كواكبها ولي ـسَ كثيرةً أقمارُها[1]
بك عمّ وَدْقُ سحابِها جــودا وتمّ[2] فخارُهـا
وتشبّثتْ[3] غيظا بأع ـناقِ العــداة شفارُها
قادحتُها[4] بمحاسنٍ ما أصلدتْ[5] أيسارُها[6]
وخـلائقٍ مَلَكَ الهوى لك باقيا سَحّارُهـا[7]
شقّتْ قلوبَ الحاسدين وما يُشَــقُّ غُبارُهـا
كم من يدٍ لك كالغما م وكالسحابِ غِزارُها
تُروَى بها حالى ويُد رَكُ من زمانى ثارُها
وحصينةٍ من حسن رأ يك لا يُقَصُّ صِدارُها
تضــفُو علىَّ ذيولُهـا وتضــمُّنى أزرارُهـا
ولطيفةٍ باتت وقـد حفّى النــدى آثارُها
أعيتْ إصابتُهـا وإنْ لم يُعيــنى إكثارُهـا
والأعطياتُ جمالُها الـ ـمشكورُ لا أقــدارُها
فِفداكَ مُعْطٍ يبذُلُ الـ ـمُنَى معمّى ولا يختارُها

(١) فى الأصل هكذا

كبرت كواكبها ولبـــس كبيرة أقمارها

وهو تحريف يدلّ عليه البيت الذى قبله . (٢) فى الأصل "ثم" . (٣) وتشبثت : تعلقت ، وفى الأصل هكذا "وتسمت عمظا" . (٤) فى الأصل "قادحتها" . (٥) ما أصلدت : "ما صلبت" . (٦) الأيسار جمع ياسر أو يَسَر وهو السهل اللين . (٧) فى الأصل "سخّارها" .

obeikandl.com

ووقتك ريبَ الدهر أيـ ـدٍ عُرفُهنّ بإنكارُها
دينارُ جودِك أو ودا دكَ لى ولا قِنطارُها
وٱستأنفت لك عُونها ما أسلفَتْ أبكارُها
تطوى البلاد ولم تَرِمْ (١) قفطينُها سُفّارُها
من كلّ طائرةِ الشُّعا ع اذا ٱستطار شَرارُها
تصلُ الكبيرَ ولا يخا ف مـلالةً زَوّارُها
عذراء يُخلَع فى هوا ك مع العفاف عِذارُها
فى أىّ بيتٍ شئتَ مذ ـها قلتَ : ذا سيّارُها
سعتِ القوافى خلفَها وعَنَا لها جبّارُها
لو ما تقدّم عصرُها وتردّدتْ أدوارُها
ودّتْ فحولُ الجاهلـ ـيّة أنّها أشعارُها
لو أُنصفَتْ فوق الطُّرو سِ لأُذهبتْ (٢) أعشارُها
فى كلّ يومٍ هديّةٍ مستحسَنٌ تكرارُها
يُروَى لكم بفم النهـ ـى صفوُها وخيارُها

* * *

وقال فى غرض له

يالنوازى كبدٍ هاجها "بالبان" من "خنساءَ" تذكارُ
عاد لها من بعد إقلاعها دينٌ من الحبّ وإصرارُ
يا قوم، لى من أسرتى قاتلٌ مَنْ لقتيلٍ ما له ثأرُ؟

(١) تَرِمْ : تفارقْ . (٢) لأُذهبت : لذُهّبت .

أرى دَمِي يقطُـــرُ من أنمـــلٍ شـــفارُها مُؤْقٌ (١) وأشـــفارُ (٢)
ظَبْيٌ رخيمٌ، لَفظـــهُ ناسكٌ وطرفُـــه الفـــاتكُ عيّارُ (٣)
ضُعفتُ تحت الغمز من عاجِمٍ يصرَعُ لبّي وهـــو خَـــوّارُ
أصبحتُ عبـــدا باختيارى له "وفارسٌ" قومَى أحـــرارُ
يا موتُ نفسى لك إن أعرضتْ "خنساءُ" أو شطّت بها الدارُ
خوّفنى بالنـــارِ فى وصالهـــا تـــومٌ وفى هجـــرها النـــارُ

* * *

وكتب الى صـــديق له من الكُتّاب يشكره على موقفٍ وقفه فى حاجةٍ له رضىَ سعيَه فيها، ويتألّم لفقد جماعةٍ من إخوانه، ويهنّئه بالمهرجان

حيّـــا أوجُهًا على "السّفيح" غُرًّا وقِبابا بيضـــا ونُوقا حُمـــرا
ورماحا دون الحبائب يهـــزَزْ نَ ويحطَمنَ فى الكتائب كسرا
وسراحين (٤) كالحصونِ جيـــادا تملأ الحُـــزْمَ (٥) مُهرةً أو مُهـــرا
يتمارَحنَ فى الحبالِ فينقُضـ ـنَ فتيلا (٦) منهـــا ويقطعنَ شَزْرا (٧)
وقِرًى بعضُـــه الوصالُ اذا أعـ ـسى طما جَفنـــةً وزمْجَرَ قِـــدْرا
آهِ للشـــوقِ (٨) ما تأوّهتُ منـــه لليـــالٍ "بالسفح" لو عُدْنَ أخرى
كنّ دُهمـــا من الدآدى وقد كُنّ بتلك الوجـــوه درعًا (٩) وقُمـــرا (١٠)

---

(١) مؤق جمع مأق وهو مجرى الدمع من العين أو طرفها مما يلى الأنف . (٢) أشفار جمع شَفر وهو نابت الشعر فى حرف الجفن . (٣) العيّار : الذى يخلّى نفسه وهواها لا يروّعها ولا يزجرها . (٤) السراحين : الذئاب واحدها سرحان وتشبّه بها الخيل فى سُرعة العَدْو .
(٥) الحُزْم جمع حِزام . (٦) فى الأصل "فينقصن" . (٧) الشزر : فتل الحبل عن اليسار وهو أشدّ لفتله . (٨) فى الأصل "الشوق" : (٩) الدرع جمع الدرعاء وهى الليلة يطلع قمرها عند الصبح . (١٠) القمر جمع قمراء وهى الليلة المقمرة .

حيثُ لا تظفَرُ الوشاةُ بأسرا ... رِى اذا ما الصباحُ أعانَ سِرّا
فاذا ما العذولُ قال : عِقاباً ... فى ذنوبى ، قال الصِّبا : بل غَفْرا
أجتنيها رَيْحانةَ العيشِ خضرا ... ءَ وتُمسى فيها المُنَى لِىَ خُضْرا
يا مَغانِى "الحِمى" سُقيتِ ، وما بيـ ... ـنى العيشُ أن يجودَكِ قَفْرا
أىُّ عين أصابتِ الدارَ؟ أقذى ... اللهُ بعدِى أجفانَها وأضرّا
عَرِيَتْ من ظبائها [الآنساتِ ا ... بيضِ] واعتاضتِ الظِّباءَ العُفْرا (١)
لا تزالُها تُطيلُ بعد انوى غصـ ... ـناً ولا جوُّها يُتِمُّ بدرا (٢)
غيرَ حُمٍّ (٣) من القطا جاثماتٍ ... كنَّ جُوناً (٤) فعدنَ بالرَّهْجِ (٥) كُدْرا (٦)
وبقايا مواقفٍ تصِفُ الجو ... دَ أباديدَ (٧) فى يدِ الريحِ يُذْرى (٨)
قَلِّبوا ذلك الرَّمادَ تُصيبوا ... فيه قلبى إن لم تُصيبوا الجمرا
ما لدهرى قضَى الفراقَ عليها ا ... عذَّبَ اللهُ بالفراقِ الدهرا
أنظرانى - رفيقَىَّ كنتُ بصيرا - ... يا خليلَىَّ بين "حقٍّ" و"نُصرى" (٩)
أومِيضٌ سَرَى فشَقَّ قميصَ الـ ... ـليلِ أم [ذاكِ] (١٠) طيفُ "سُعْدَى" "سُرَى"؟
زار ودّنا - لا يُصغِرِ اللهُ همتا ... هُ - وحيّا فزاده اللهُ برّا
بشَّرتنى مقدماتٌ به يحـ ... ـمِلُ فيها ذيلَ النسيمِ العِطرا
واعتنقنا وليس همّى سوى مسـ ... ـألةِ الليلِ أن يُبيتَ الفجرا

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

عريت من ظبائها الأ نس واعتاضت الظباء العفرا

وقد أحتفظنا بمعناه حين أضطرونا الى أتزانه . (٢) فى الأصل "نذرا" . (٣) حمّ جمع حمّاء وهى السوداء . (٤) جونا : بيضا . (٥) الرهج : الغبار . (٦) كدر جمع كدراء وهى التى بها عبرة . (٧) أباديد : متفرقا : يبدد ، وفى الأصل "نثرا" . (٨) جو : اسم لناحية اليمامة . (٩) بصرى : من قرى بغداد قرب عكبرا ، وفى الأصل "بين حق بصرى" . (١٠) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

زورة لم تكن بخطّ[1] بنانى ... فى كتاب الآمال إلا سطرا
سَرَقَتْها لِىَ الحظوظُ "وخَلسا ... ءُ" استلابا من الزمان وطرّا[2]
وأبيها ما حفظَها الدهرَ أنكر ... تُ ولكن أنكرتُ بُعدَ المَسَرّى
جشّمتْها الأشواقُ فى ساعةٍ شُقّـ ... ـةَ ما تخبِطُ السحائبُ شهرا
فرحَةٌ طار لى غرابا بها اللي ... ـلُ وطارت عنّى مع الصبح نَسرا
ارتجعْها يا دهرُ لا زلتَ تستر ... جِعُ لؤما[3] ما كنتَ أعطيتَ نَزْرا
وتعلّمْ أنّى بمكرك لا أحـ ... ـفِلُ ممّا ألفتُ منك المكرا
أنكرَ الغدرَ مرّةً منك قلبى ... ثمّ صارت سجيّةً فاستمرا
لا حَمَى اللهُ حازما غرّه منـ ... ـك سرابٌ شعشعتْهُ فاغترّا[4]
كُلْ بنابَيْك ملءَ جنبيك لحمى ... وتخدَّلْ عنّى متى قلتُ : نصرا[5]
قَلَّ صبرى على اقتنائى للجـ ... ـد وأقنا عنك الغداة فصبرا
أنت ذاك الذى أمتَّ شبابى ... عَبطةً[6] وهو ما تملّى العمرا
ورددتَ العيونَ عنّى وقد كنـ ... ـتُ لها الكحلَ حائصاتٍ[7] خُزْرا[8]
صار عِهْنًا تحتَ المراحل ينقا ... دُ وقد كان عاصىَ النّبت شَعْرا
ومشيتَ الضَّرّاءَ[9] كيدا لأحبا ... بى فريعُوا فى الأرض شَلّا[10] ونَفْرا[11]
صُدِعُوا مَطرحَ الزُّجاج تَشَظّى ... وتداعَوْا عطَّ[12] الأديم[13] تَفَرّى[14]

(١) فى الأصل "يكن بخط" . (٢) الطر : السوق الشديد . (٣) فى الأصل "لوما" . (٤) فى الأصل "فاعتمرا" . (٥) فى الأصل "تحمى" . (٦) عَبطة : نحرا من غير علّة ، وفى الأصل "غبطة" . (٧) حائصات : حائدات ما ثلات ، وفى الأصل "خائضات" . (٨) خزرا جمع خزراء وهى العين بها صغر وضيق . (٩) الضراء : الاستخفاء ، من قولهم للرجل يختل صاحبه : هو يدب له الضّراء ويمشى له الخمر (١٠) الشلّ : الطرد ، وفى الأصل "سلا" . (١١) النفر : النفور . (١٢) العطّ : الشقّ . (١٣) الأديم : الجلد . (١٤) تفرّى : انشقّ .

قسمتهم يدُ الشتات فشطرا ... للتنائى وللنوائب شطرا
فكأن الأرضَ الحمولَ أبتْ أن ... يجدوا[1] فوقها لرجلٍ مقرّا
خولسوا من يدى غصونا رطيبا ... تٍ وغابوا عنّى كواكبَ زُهْرا
أقتضيهم مطلَ الإيابِ وقد ... وفّى الفراقُ الوشيكُ فيهم نَذْرا
صحبَ اللهُ راكبين الى العـ ... ـز طريقًا من المخافةِ وَعْرا
سمعوا هَتفةَ الحُول فطاروا ... يأخذون الأرزاقَ بالسيف قهرا
شربوا الموتَ فى الكريهة حُلوًا ... خوفَ يومٍ أن يشربوا الضيمَ مُرًّا
طرّحوا حاجهم وراءَ متونِ الـ ... ـخيلِ ركضا والسمهريّةِ[2] جرّا[3]
كلُّ عجلانَ خطُّهُ لأخيه : ... العَلاءَ العلاءَ إن كنتَ حُرًّا
يملأون الحُبا[4] جُلوسًا فإن ثا ... روا ملأتَ الفضاءَ بيضا وسُمرا
واذا استُصرخوا لعضّةِ عامٍ ... ركبوا الجودَ يطردون الفقرا
لا يبالى الحيرانُ ما أطلقوا الأيـ ... ـمانَ[5] أن تُمسكَ السماءُ القطرا
إخوتى من بنى الوفاء ورهطى ... ـ يومَ أغزو ـ الملوكُ من آلِ "كسرى"
غادرونى فردا ومرّوا مع الأيـ ... ـام ، والحظُّ بعدهم أن أمرّا
أتشكّى القذى بمقلةِ حيرا ... نَ عليهم الى ضلوعٍ حرّى
ليتَ شِعرى بمن أعوّضُ عنكم ... يومَ آبى ضيما وأدفعُ عُسرا ؟
فسدَ الناسُ بعدكم فاستوى فى الـ ... ـعيش مَن سرّنى نفاقا وضرّا
ونجا بى ـ ما شئتُ ـ يأسى منهم ، ... نال خيرا من ظنّ بالناس شرّا
ويلى ! قد أفادنى الدهرُ خِلًّا ... لمّ شعثى وشدّ منّى أزرا

(١) فى الأصل "تجدوا" . (٢) السمهرية : الرماح . (٣) فى الأصل "حرّا" .
(٤) فى الأصل "الفضل" . (٥) الأيمان جمع اليمين من الأيدى . وفى الأصل "ما أطلقوا أيمان" .

واحـــدا أعلقتْ يدى غلطةُ الأ ... ـيـ ـام منـــه حبـــلَ الوفاءِ المُمرّا[1]
أَلمعيًّا رأى بعـــينِ ابنِ ليـــلٍ[2] ... خافيًا من محاسنى مستتيـــرّا[3]
فاقتنانى تغنُّما وافـــتراطا ... واستبانى قـــولا لطيفـا وبِرّا
وتحـــرّى تفضُّلا أن يرى الفضـ ... ـلَ مضاعا، والحُرُّ من يتحرّى[4]
صدَقتْ فى "أبى طريفٍ" ميامي ... نُ ظنونى وقـــد تعيّفن زَجْرا
وتجلّت غشـاوةُ الدهرِ عن قلـ ... ـبى وفكّتْ عنّى الليـالى الحَجْـرا
وأتانى يتـــوبُ من ذنبـه الدهـ ... ـرُ احتشـاما له وكان مُصِـــرّا
ألحقتنى به غريبا من الآ ... مال قُربى تُعَـــدُّ صِنْوا وصِهرا
فتحنّى لها ورقّ عليها ... ورأى الدهرَ عقّ فيها فـــبرّا
وصَـــلَ الـــودَّ لى بآخيـــة الجا[5] ... ه[6] فكانا عُجالةً[7] لى وذُخـــرا
وأتاه صـــوتى فنبّـــه منـــه ... "عُمَرًا" حين نبّهَ الناسُ "عَمْرا"
شيمةٌ منك يابن "باسِلَ" فى السؤ ... دِد لم تُعتَسَـــفْ عليها قَسرا
وعروقٌ زكَى ثراهنّ فى المجـ ... ـدِ فأرعَى نباتُهن وأثْـــرى
طاب مَجْناكَ فاهتصرتُك وَرْدا ... لـــيّنَ الغصنِ واعتصرتُك خمـرا
كان نصرى عليـك دَيْنا فما كنـ ... ـتَ بغـــير القضاء منـــه لتَبرا[8]
ندبتْـــك العُـــلا له فتجـــرّدْ ... تَ حســـاما فيه وقمتَ هِزبرا[9]

(١) المرّ : الحبل المفتول فتلا شديدا . (٢) ابن ليل : تقوله العرب لصاحب الغارات والذى يسير الليل ولا يهوله لقوته وجسارته ، قال الراجز

ما ذا يريني الليل من أهواله * إنى أنا ابن الليل وابن خاله

وله معان كثيرة غير ما ذكرناه لا تناسب السياق .

(٣) مستترا : متواريا . (٤) فى الأصل "برى" . (٥) الآخية : العروة ومن معانيها أيضا : الحرمة والذمة . (٦) يريد بهذه التثنية : الود والجاه . (٧) العجالة : ما يتزوده الراكب مما لا يتعبه أكله وهو هنا مجاز . (٨) يريد لتبرأ . (٩) الهزبر : الأسد .

مِلَّةٌ فى الوفاء ضيَّعها النا ... سُ وأحييتَها سَناءً (١) ونَخْرا (٢)
ولسانٌ فى الحمد كان عقيما ... قبلُ أولدتَهُ ثناءً وشُكرا
فتأهَّبْ لوافداتِ القوافى ... يعتملنَ الدُّجَى وما كُنَّ سَفْرا
ضارباتٍ فى الأرض طولا وعرضا ... وهى لم تلقَ جانبا مغبرَّا
حاملاتٍ لحُرِّ عرضك من بعـ ... ـد ضميرى ملءَ الحقائب دُرَّا
كلَّ غرَّاءَ تجتليها على شر ... طك فى الحسن ثيِّباً أو بِكرا
لم أكلِّفك أن تسوقَ مع الرغـ ... ـبة فيها سوى المودةِ مهرا
وبحقٍّ لم ينشرح لك صدرى ... بمديحٍ حتى ملأتُ الصدرا
وركاك الشِّعرُ العزيزُ على غيـ ... ـرك كُنهًا فلانَ شيئا وقَرَّا
كم عظيمٍ أبَى عليه وجبّا ... رٍ ثنَى عنه جِيدَه وأمرَّا
فتهنَّ انقيادَه لك واعلمْ ... أىّ طِرْفٍ (٣) جعلتُه لك ظَهرا
والبس المهرجانَ حُلَّةَ عزٍّ ... لستَ من لُبسها مدى الدهر تعرَى
طاعنا فى السنين تطوى عليـ ... ـنَّ [طوالَ] (٤) السنين عصرا فعصرا
وأعلُ حتى أراكَ أشرفَ كعبًا ... من مكان السُّهَى وأنبَهَ ذِكرا

* * *

وقال وقد بلغه عن الرئيس أبى القاسم هبة الله بن علىّ بن ما كولا ذكرٌ جميلٌ، وتقريظٌ لشعره، وتشوُّقٌ الى رؤيته، وكان مقيما بالبَطِيحة، يتقلَّدها وواسطَ حَرْبا وخراجا، وكتب بها اليه

"بالغَور" ما شاء المطايا والمطـ ... ـرْ بقـلُّ تُحنينٌ ونَمـيرٌ منهمـرْ
وسـرحةٌ ضاحكةٌ وبانةٌ ... غنَّى الربيعُ شأنَها قبلَ السَّحَرْ

(١) السناء: الرفعة والعلو، وفى الأصل "شناء". (٢) فى الأصل "فخرا". (٣) فى الأصل "جعلته". (٤) هذه الكلمة ليست فى الاصل.

وآثرن من ظاعنين أحدوا ... من عيشهم على "الأثيلات" الأثر

فراح من حبالها وخابها ... تاخذ من هذا اللباخ (١) وتذر

كم المنى ترعى لها وكم ترى ... يمسك من أوراقها رجع الجرر (٢)

أما نجم (٣) لسقط لها ... يطرحهن بالفلا طول السفر

الله فيها إنها طرق العلا ... (٤) وعدة الماء لخير ولشر

ظهورها العز وفي بطونها ... كنز للبل الطارقين مدخر

نعم لقد طاولها مطالنا ... وحان أن يعقبها الصبر الظفر

"فالغور" يا راكبها "الغور" إذن ... (٥) إن صدق (٦) الرائد في هذا الخبر

لما وخضما أو يعود تامكا ... (٧) (٨) الغارب الشامك (٩) والجنب المعر

وإن حنت "للحمى" وروضيه ... "فبنعضا" ماء وروضات "أجر" (١٠)

هل "تجدن" إلا منزلا مفارقا ... ووطنا في غيره يقضي الوطر

وحاجة كامنة بين الحشا ... والصدر إن ينفض لها البرق تثر

يادين قلبي من صبا نجدية ... تجري بأنفاس العشاء والسحر

اذا نسيت أو تناسيت جنت ... علي "بالغور" جنايات الذكر

---

(١) اللباخ بضم أوله : شجر عظيم معروف باللباخ . (٢) الجرر جمع جرة وهي ما يخرجه البعير من بطنه ليضغه ثم يبلعه . (٣) تجنم : تترك ولا تركب لتقوى . (٤) الله فيها بمعنى اتقوا الله فيها .

(٥) في الأصل "يا راكبا" . (٦) الرائد : الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه ، ومنه قولهم : "الرائد لا يكذب أهله" . (٧) السنّ ، أن تأخذ الدابة الكلأ بطرف لسانها . (٨) الخضم : الأكل بقصى الأضراس . (٩) التامك الأول : بمعنى السنام العظيمة السنام ، والتامك الثانية بمعنى السنام والغارب هنا بمعنى الظاهر أو الذاهب ، والجنب المعر : الذي أصابه العر وهو الجرب ؛ فيكون معنى البيت أنّ الذي ذهب سنامه هزاله والذي أصابه العرّ من طول السفر اذا وصل الى الغور أكب على اللس والخضم لكثرة المرعى به فيعود عظيم السنام بعد هزاله (١٠) في الأصل "أحر" .

آهِ لتلك الأوجهِ البيضِ على ... "رامةَ" فى تلك القُبَيْباتِ الحُمُرْ
يستزيرُ بجنبيّ منى غنّى بها ... قلبٌ متى ما شربَ الذكرى سَكِرْ[1]
كنّا وكانت والليالى رطبةٌ ... بوصلنا والدهرُ مقبولُ الغِيَرْ
أيّام لا تُدفع فى صدرى يدٌ ... ولا يُطاع بى أميرٌ إن أمَرْ
وعاطفُ العيونِ لى وشافعى[2] ... ذنبى اليها اليومَ من هذا الشَّعَرْ
وَسْمًا رجعتُ مهملا غفلاتِه ... اذا البهامُ نصَّعتهنّ[3] الغُرَرْ
ما خِلْتُ[4] لى أن الدرارى قبله[5] ... يُنكرها سارى الظلام المعتكِرْ
قالوا : تجمّلتَ[6] بها غديرةً ... مَرْدَعةً عن الحنا ومُزدَجَرْ
رُدُّوا سقاهى وخذوا وقارَها ... بَيْعَ الرضا، وندمًا لمن خَسِرْ
رحتُ بها بين البيوتِ أزورا[7] ... مواريا شخصى من غيرِ خَفَرْ
أحملُ منها بقلةً ذاويةً ... بالعيش كانت أمسِ ريحانَ العُمُرْ
يا قُصرتْ يدُ الزمان شدّما ... نطول فى ثمنى وفى نقصِ المِرَرْ[8]
عَصًا شظايًا ومشيبٌ عَنِتٌ ... ومنزلٌ نابٍ وأحبابٌ غُدُرْ
وصاحبٌ كالداء إن أبديتُه ... عَوَرَ وهو قاتلى اذا أُسِرّ[9]
أحملُه حَملَ الشَّغا[10] نقيصةً ... وقلّةً ما زاد ألّا[11] وكثُرْ
يُبرزه النفاقُ لى فى حُلّةٍ ... حبيرةٍ من تحتها جِلدُ نَمِرْ

(١) فى الأصل "شكر" . (٢) يشير بذلك الى سواد شعره وهو فتىّ . (٣) نصّعتهن : جعلتهن نواصع ، وفى الأصل "تضعتهن" . (٤) فى الأصل "حيل" . (٥) فى الأصل "التشاكى" ولا معنى لها هنا مطلقا وهو من تشويه النسخ ، وقد رجحنا كلمة "الدرارى" لأن الشاعر يريد تشبيه ما ابيضّ من شعره بالنجوم فى الظلام الدامس ، وكثيرا ما طرق هو وغيره من الشعراء هذا المعنى . (٦) فى الأصل "تجملت" . (٧) الأزور : المائل ، وفى الأصل "أزورا" . (٨) المِرر جمع مِرّة وهى طاقة الحبل . (٩) فى الأصل "سر" . (١٠) الشغا : الزيادة فى الأسنان . (١١) ألّا : صفاءً وبريقا .

مبتسمٌ والشـــرُّ فى حِـــلاقِـــهِ ... خَفْ كيف شئت أرقما اذا كشَرْ
لأنفضنَّ الناسَ عن ظهرى كما ... قَطَّرَ[1] بالراكبِ مجـــلوبٌ عُقِـــرْ
فَرْدًا شِعارى لا مساسَ بينهم ... منفَرِدَ الليتِ وإن شئتَ القَمَـــرْ
نفسى حبيـــبى وأخى تقنُّـــعى ... وربّما طـــرَّفتِ الدنيا بحُـــرّْ
إن يكُ يأسٌ فعسى غائبـــةٌ ... تَظهرُ، والنارُ كمينٌ فى الحجـــرْ
قـــد بشَّـــرتنى بكريم هبَّـــةٌ ... بمثلها ريحُ الجَنـــوبِ لم تَـــثُرْ
تقـــول لى بصوتها الأعـــلى ضُحًى ... وبالنسيم فى الدُّجى الحـــلوِ العَطِرْ:
إنَّ فَـــتًى "مَيسانَ"[2] دون دارِه ... [قد] بَقِىَ المجـــدُ وحيدا وغَـــبَرْ
يعرفُ ما قـــد أنكر الناسُ من الـ ... ـفضـــلِ ويُحيِى فى العلا ما قد دَثَرْ
وأنه — جرى بخيرٍ ذكـــرُهُ — ... حنّ وقـــد عُرِّض باسمى وذُكِرْ
وعَلِقَتْ بقلبـــه ناشـــطةٌ ... مرَّت عليـــه من بُنَيّاتِ[3] الفِكَرْ
فمن هـــو الراكبُ ملساءَ القَرا[4] ... مُصْمَتةَ[5] الظهـــرِ ببطنٍ منقعرْ؟
رفِّعْ ذُنابَاها وخفِّضْ صـــدرَها ... مُشرِفـــةَ[6] الحارك وقصـــاءَ[7] القَصَرْ[8]
تحـــدو بها أربعـــةٌ خاطفـــةٌ ... تُحيى عليها أربعٌ منها أخَـــرْ[9]
اذا المطـــايا خِفنَ إظماءَ السُّرى ... فرمَّـــا من شَرَقٍ على حـــذَرْ
يعـــدُّ أبـــراجَ السماء عَنَقًـــا ... فى مثلها تصـــعُّدا ومنحـــدَرْ
يرفَعُ عنها حدَبَ الموج اذا آسـ ... ـتنَّتْ[10] صناعُ[11] الرجل فى خوضِ الغَمَرْ

(١) قطّر : ألقى ، وفى الأصل "فطر" . (٢) ليست بالأصل . (٣) بنيّات الفكر : الخواطر . (٤) الذرا : الظهر . (٥) يشير بذلك الى السفينة . (٦) الحارك : أعلى الكاهل . (٧) القصاء : القصيرة وهو وصف خاص بالعنق . (٨) القصر : أصل العنق اذا دقت . (٩) يشير بذلك الى المجاديف . (١٠) استنّت : اضطربت . (١١) صناع الرجل : الحاذق فى العمل برجله ويقابلها "صناع اليد" ، وفى الأصل "صناع الرخل" .

لو لم يلاطفها على أعتسافه ... بخُدعةٍ من اللّيان لم تسر:
اِسلَمْ وسِرْ وليس إلا سالما ... مَن راح فى حاجةِ مثلى أو بَكَرْ
قُلْ "لأبى القاسم": يا أكرمَ مَنْ ... طُوِى اليه دَرْجُ أرضٍ أو نُشِرْ
وخيرَ من مُوطِّلَ جفنٌ بكرًى ... فى مدحه فلم يضعْ فيه السَّهرْ
وآبنَ الذى قيل: إذا ولّى عن الـ ... ـدنيا تولّتْ بعده على الأثرْ
وآستشرفَ الملوكُ من عطائه ... والخلفاءُ ما آستعزّ وآحتقرْ
ومَنْ تكونُ "الكَرَجُ"(١) الدنيا بأن ... أوطنها "وعِجْلُ"(٢) ساداتُ البَشَرْ
لو لم يكن إلا "آبنُ عيسى"(٣) لكمُ ... فخرا كفى ملء لسان المفتخرْ
ساقِى العوالى من دمٍ ما رَوِيَتْ ... وعاقرُ البُدْنِ وعاقرُ البِدَرْ
ناصبتم الشمسَ بحدٍّ سيفه ... ودستُمُ بسعيه حدَّ القمرْ
وصارت الشمسُ تُسمّيكم به ... أنجادَ "عدنانَ" وأجوادَ "مُضَرْ"
مضى وبقّى سؤرةَ(٤) المجد لكم ... ملآى(٥) اذا ما شرب الناس السُّؤَرْ
الكرماءَ آلتقموا طريقَه(٦) ... وألقوا بينهم تلك السِّيَرْ
وشغلوا مكانَه من بعده ... كالشمس سدَّ جوَّها الشُّهْبُ الزُّهُرْ

(١) الكرج: مدينة بين همذان وأصبهان وأول من مصّرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلىّ وجعلها وطنه وكان قائدا فى عهد المعتصم كريما ممدّحا مشهورا بالسماحة والشجاعة وله مكان فى الشعر والغناء وهو الذى قال فيه علىّ بن جبلة

إنما الدنيا أبو دلف ... بين مغزاه ومحتضره
فاذا ولّى أبو دلف ... ولّت الدنيا على أثره

والى هذه الصفات يشير مهيار فى الأبيات التالية كما أشار الى هذين البيتين فى قوله:

وآبن الذى قيل: اذا ولّى عن الـ ... ـدنيا تولت بعده على الأثر

(٢) عجل: اسم قبيلة. (٣) ابن عيسى: أبو دلف المار ذكره. (٤) السؤرة: البقية.
(٥) فى الأصل "ملى". (٦) التقموا طريقه: نهجوا منهاجه.

زكيَّة طينتُهم ، حـــديدة شوكتُهم ، طاب حصاهم وكثُرْ
لا يتمشَّـــون الضَّراء(١) غيـــلةً لجارهم ولا يدبُّـــون الخمَـــر(٢)
كلُّ غلام ذاهبٌ بنفســـه مع العَـــلاء إن بدا(٣) وإن حضَرْ
إمَّا زعيمُ فيـــلقٍ يطرحهـــم فى لهَـــوات الظـــلم حتى ينتصرْ،
مغـــامرٌ مســـلَّطٌ بســـيفه على الردى متصِّفٌ من القـــدَرْ،
أو تاركٌ لفضـــله من دِينـــه ما عزَّ من سلطانه ومن قهَـــرْ
عفَّ عن الدنيا وقـــد تزخرفتْ ممكنةً وعافها وقـــد قـــدَرْ
محكَّمٌ فى النـــاس يقضى بينهـــم بُحكم الآى ومنصوص السُّـــوَرْ
فكلُّكم إمَّا ابن عـــزٍّ حاضرٍ بســـبقه أو ابن عزٍّ مـــدَّخَرْ(٤)
وحسبُكم شهادةً "لقاسمٍ" مجـــدُ "أبى القاسم" عينًا بأثَرْ
حدِّثْ عنـــه مثلَ ما تحـــدَّثتْ عن كرم الأغصـــانِ حلواءُ الثَّمَـــرْ
مواهبٌ فى "هبـــةِ الله" لكم أوفَى بهـــا على مناكم وأبَـــرّْ
يا مســـلفى تبرُّعا من ودِّه سلافةَ الخمـــرِ ووسمىَّ(٥) المطَـــرْ
ومُـــنزِلى من ثُرُفاتِ رأيه مكانَ يخـــطُّ السهَى ويحـــدِرْ
لبّيك قـــد أسمعتـــنى وإن يغبْ سمعىَ عنـــك ففؤادى(٦) قـــد حضَرْ
عوائدٌ من الكرامِ عاد لى مِنّتُهن بعـــلاك ونُشِـــرْ
كم فىَّ من جُرحٍ قـــد التحمتَـــهُ بهـــا ومن كسيرٍ عَصَبتَ بفُـــرِرْ
ملكتَ رقِّى وهـــواى فاحتكمْ ملكَ اليمين لم أهَبْ ولم أعِرْ
تمَّتْ ما خطَّت يـــدُ الكاتب من وصفِكَ فى تمَّ المطيفين الحجَـــرْ

(١) الضراء : الاستخفاء . (٢) الخمر : الخفية ، يقال : "هو يدبّ له الضراء ويمشى له الخمر" لمن يختل صاحبه . (٣) بدا وحضر : أقام فى البادية أو فى الحضر . (٤) فى الأصل "بسيفه" . (٥) الوسمىّ : أول مطر الربيع أو مطر أول الربيع . (٦) فى الأصل : "ففؤادى" .

وقلتُ : يا كامنَ شوقي ثُرْ ويا ... قاسيَ إمّا واقعا كنتَ فَطِرْ

ويا ظَمائي هذه شريعةٌ ... يدعو اليها الواردين من صَدَرْ

فلو علِقتْ بجناحِ مُضيةٍ ... حوّمَ بي عليك سعيٌ مبتدَرْ

ولرأيتَ معَ فرطِ حشمتي ... وجهي عليك طالعا قبلَ خَبَرْ

لكنّها عزيمةٌ معقولةٌ (١) ... تئنُّ من ضغطِ الخطوبِ والغِيَرْ

وهمّةٌ عاليةٌ يحطُّها ... أمرُ القضاءِ لا يفكُّ من أَسَرْ

وربّما التفتُ الأيّام عن ... لحاجها أو يُقلِعُ الدهرُ المُصِرّ

وإن أُقِمْ فسائراتُ شِرَدٌ ... يَزُرْنَ عنّي أبدا من لم أَزُرْ

قواطعٌ (٢) اذا الجِدُّ حَسَتْ ... اليك أمراسَ (٣) الخبالِ والغِيَرْ (٤)

كلُّ ركوبٍ رأمَها الى المدى ... لم تزجُرِ الطيرَ ولمّا تستشِرْ

نهارُها مختلطٌ بليلها ... ترمي العشيّاتُ بها على البُكَرْ

تحمِلُ من مدحكمُ بضائعا ... يمسي الغبينَ في سواها من تَجَرْ (٥)

كأنّما حلّ "ايمانون" بها ... عِطارَ "دارين" وأفواقَ "هَجَرْ"

لم يمضِ من قبلي فمٌ لأُذُنٍ ... بمثلهنّ مُوعَبًا ولم يَطِرْ

سلّمها خولُ هذا الشعرِ لي ... ضرورةً ما سلّموها عن خِيَرْ

شُهْدٌ لمن أحبّكم وأَقِطٌ (٦) ... وفي أعاديكم سمامٌ وصَبِرْ

لتعلموا أن قد أصاب طَوْلُكم (٧) ... مَن عرفَ النعمةَ فيه فشَكَرْ

---

(١) معقولة : محبوسة مشدودة بالعقال . (٢) قواطع : تقطع البلاد وتجتازها كالطريق القواطع . (٣) أمراس جمع مِرَس (جمع مِرَسة) وهي الحبل . (٤) الغِير جمع غار وهو الغم . (٥) تجر : باع واشترى ، وفي الأصل "تحر" . (٦) الأقط : شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ حتى يمصل . (٧) الطول : العطاء .

* * *

وقال يرثى الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم ، وقد قتل محبوسا بعد طول الأسر في قرية(١) على شاطئ الفرات من أعمال هيت

مَنْ حاكمٌ وخصومِيَ الأقـــدارُ؟ كثُر العـــدوُّ وقلَّت الأنصـارُ!
أتُنجَى من الدنيا بحبِّ مقلِّبٍ وجهين ، عُرفُ وفائه إنكارُ
ســـوْمَ الدنيّ اذا تضرَّع ردَّه للؤم عرقُ الهُجنـــة(٢) النَّعَّارُ(٣)
واذا وَفَى لمنـاىَ يـــومٌ حاضرٌ فأجارَ أســـلمنى غَدٌ غـــدَّارُ
أفصخرةٌ يا دهرُ هـــذا القلبُ أم هو للهمـــوم السـاريات قرارُ؟
فى كلِّ يـــومٍ للنوائبِ شـــلَّةٌ(٤) من جانبيَّ وللهمـــوم غِوارُ(٥)
ومصائبٌ متحكِّماتٌ ليس لى معهنَّ فى بيع النفـــوس خِيـارُ
تُنحِى فأحملُها ثِقـالا مُكرَها وكأننى بتجـــلُّدى مختـارُ
جُرحٌ على جُـــرحٍ ولكن جائفٌ(٦) ضـــلَّ القنائلُ(٧) فيـه والمسبارُ(٨)
جُحِرَتْ عمائمُهُ العـروقَ وغادرتْ قَصَبَ(٩) العظامِ وهنَّ مُخٌّ رارُ(١٠)
فاغمـــزْ قناتى يا زمانُ فإنّه ذاك المـاكسُ طائحٌ خـــوّارُ
كُشِفَتْ لنَبْلِكَ غامضاتُ مَقاتلى وترفَّعتْ عن صَفحتِى الأستارُ
وأُكلتُ لا خَلَفٌ يردُّ ســـلامتى ذلًّا ولا يحمى حمـاىَ جِـــوارُ

---

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد . (٢) الهجنة : عدم الإعراق . (٣) النعّار : المصوّت . (٤) الشلّة : المرة من الشلّ وهو الطرد ، يقال : فلان يشلّهم بالسيف أى يطردهم ويكسعهم ، وفى الأصل "سلة" . (٥) الغوار : الغارة . (٦) الجائف : الطعن أو الداء بلغ الجوف ، وفى الأصل "طارف" . (٧) القنائل جمع قنيلة وهى الخرقة تفتل وتراتُ ، وفى الأصل "القبائل" . (٨) المسبار : الآلة يجسّ بها الجرح . (٩) فى الأصل "قصب" . (١٠) الرار : الذائب .

ذهب الذين كانت تجاذبني لهـ ـا الدنيا وتسقط دونيَ الأخطارُ
ويُريدُ فارسةَ الخطوب نواصلاً (١) منّي مخالبهنّ والأظفارُ (١٦٨)
من يشتريني بالنفائس مُغبِطًا بعدَ "الحسينِ" ومَنْ عليَّ يغارُ؟
ويُطاوِلُني واليومُ أغبرُ مشمسٌ (٢) أتجلّلُ النكباتِ وهي أُوارُ
أم من يضمُّ بدائدَ الآمالِ لي ويُقِلُّ عني بأسمهِ الإقتارُ (٣)
وإذا اقشعرّتْ (٤) أرضيَ استصرختُهُ فإذا الجبانُ تُرابُها ونُضارُ
المخذمُ (٥) البتّارُ أسقطَ من يدي والغيثُ أقلعَ عنّي المِدرارُ
والصاحبُ انتُزِعَتْ فوادمُ أسرتي منهُ وهيضَ جناحُها الطيّارُ
فاليومَ لا أبتِ الصغارَ ولا اعتزتْ إلا عبيدًا "فارسُ" الأحرارُ
وتطاطأتْ ذلًّا فطالت ما اشتهتْ شرفًا عليها "يعربٌ" "ونزارُ"
كمًّا وإن كُرُمتْ نفاخرُها [به] (٦) فالآنَ ما بعدَ "الحسين" فخارُ
لا خفتُ بعدُ ولا رجوتُ وقد ثوى في التُّربِ منهُ النافعُ الضرّارُ
سائلْ بهذا الذَّودِ (٧) يرغو بكرُهُ (٨) (٩) في الحيّ: أين المُقرِمُ (١٠) الهدّارُ
ومتى أخلَّ أبو الشبول بغيلهِ فتناهقتْ من حوله الأعيارُ
يا مُدرَجًا فردًا تُسدّى (١١) فوقه بالقاعِ أرديةُ الثرى وتُنارُ (١٢)

(١) في الأصل "فارسه". (٢) ورد هذا الصدر في الأصل هكذا
* وبطل من واليوم مشمس أغبر *
وتصحيحه بما رجّحناه لا يخفى على أهل الأدب واللغة. (٣) الإقتار: قلة المال والافتقار.
(٤) اقشعرّت: أجدبت. (٥) المخذم: السيف. (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل.
(٧) الذود: من الإبل ما بين الثلاثة الى التسعة وهو واحد ورجع كالفُلك. (٨) في الأصل "يرعوا".
(٩) البكر: الفتيّ من الإبل. (١٠) المقرم: الفحل يترك عن الركوب والعمل للفحلة.
(١١) تسدّى: يجعل لها سَدًى وهو ما مُدَّ من خيوط الثوب بخلاف لُحمته. (١٢) تنار: يجعل لها نير وهو اجتماع الخيوط بخلاف السدى، وفي الأصل "تثار".

مُلِقّ وراءَ نسيّةٍ ومَضـــلّةٍ ... تُخفِي ضريحَك والقبـــورُ تُزارُ

أذللتَ قلـــبي للأسى وتركتني ... أتبرّدُ الزفـــراتِ وهي حِرارُ

وحطمتَ آمالي فهنّ ضعائفٌ ... وقصرتَ من همّي فهنّ صِغارُ

أنا من شِفار الفاتليك متى تَلتقتْ ... من مقلتـــيّ مع الكرى الأشفارُ

أو قلتُ معتاضا بجارٍ مثـــله ... جارٌ ولا بالدار بعـــدك دارُ

ومتى صحبتُ العيشَ بعدك باردا ... والنـاسُ صاروا بي الى ما صاروا

نبـــذوا عهودَك آنفـا وتقسّموا ... رُمَمًا بحبـــل الخُلف وهو مُغارُ

ظنّوا بفقـــدِك أن يَلُمّـــوا شَعثَها ... يا رُبَّ نقضِ جَـــرّه الإمرارُ

ورجَوْا بهُلكك أن يخلّد ملكُهم ... فاذا سلامتُهـــم بذاك بَـــوارُ

فعلامَ لم تُشكَمْ(١) وقـــد فغرتْ لهم ... فلجاءُ(٢) يُنكرنا بها الفـــرّارُ

وتفجّرتْ بالشرّ بعـــدك والأذى ... جنباتُها وتداعت الأقطـــارُ(٣)

حذروا السجالَ(٤) يخابطون قليبَها(٥) ... والحبـــلُ(٦) واهٍ والجبا(٧) منهارُ

وذوا لو أنك حاضرٌ فكفيتَها ... لما تـــولّى أمرَها الأغمـــارُ

ورعَى النـــداءةَ حيث لم يتبعْ بها ... غوغٍ رماك وآخرون أشاروا

ولّى بفـــرٍّ ولم يعفْها سُـــبّةٌ ... تَسرِي وليس من الحِمامِ فرارُ

سرّانَ ما استعروا بجمـــرةِ بغيهم ... ولربَّ باغٍ غـــرّه الأنصـــارُ

طرحوا الفراتَ الى الفراتِ فمادرى ... مُلقـــوك أيُّهما له التيّارُ(٨)

---

(١) تشكم : توضع فيها الشكيمة وهي حديدة اللجام . (٢) الفلجاء : المتباعدة ما بين الأسنان ويريد بها هنا الوزارة من باب المجاز . (٣) الأقطار جمع قطر وهو الجانب . (٤) السجال جمع سَجْل وهو الدلو . (٥) القليب : البئر (٦) في الأصل "والحال" . (٧) الجبا : تليلة البئر وهي التراب الذي حولها تراه من بعيد ، وفي الأصل "الحبا" . (٨) في الأصل "البتار" .

وتعاظموا أن يَقبُروك ومن رأى ... ليثا يُخَطُّ (١) [له الثرى] محفارُ (٢)

"وأبى العلا" ما كنتُ أعلم قبلَها ... أنّ البحورَ قبورُهنّ بحارُ

ذلًّا لبيض الهند بعدك شدّ ما ... غدرتْ ولا سَلِمَ القنا الخطّارُ

ما كان أنكلهنّ عنك لو أنه ... عند السلاح حفيظةٌ وذمارُ

قتلوك محصورا غريبا لا تَرَى ... مولًى يُعِزُّ ولا بجنبك جارُ

من خلْف ضيّقة السماء بهيمةٍ ... يغزو بقلبك بأسُها الصَّرّارُ

حفروا الربى (٣) لك فارتديت وإنما ... سلطانُ ليث الغابة الإصحارُ (٤)

هلا وفيك إلى وثوبٍ نهضةٌ ... ولديك مُنتَقِدٌ (٥) وعندك زارُ (٦)

وخطاك واسعةُ المدى تحت الظُّبا ... لا الخيطُ يحبسها ولا المِسمارُ (٧)

أعزِزْ عليَّ بأن تصابَ غنيمةً ... في القِدِّ (٨) يجمعُ ساعديك إسارُ

في حيث لا يُروَى على عاداته ... بيديك نَصلٌ حائمٌ وغِرارُ (٩)

وبمصرع لك لم تشابر دونه ... فوق الأكفّ صوارمٌ وشِفارُ

والخيل صائمةٌ على أشطانها ... قَرحى تقامَصُ خلفها الأمهارُ (١٠)

بشياتها لم يُختضَبْ بدمٍ لها ... عُرُفٌ ولم يُبلَلْ عليك عِذارُ

أو أن يكون الجوُّ بعدك ساكنا ... واليومُ أبيضُ ما عليه غبارُ

ووراء ثأرك غِلمةٌ لسيوفهم ... في الرَّوع من مهج العدا ما آختاروا (١٦٥)

يتهافتون على المنون كأنهم ... حِرصًا فَراشٌ والمنيّةُ نارُ

---

(١) هاتان الكلمتان لبستا في الأصل . (٢) المحفار : الآلة يحفر بها . (٣) الربى جمع ربية وهي الحفرة ، وفي الأصل "الربي" . (٤) الإصحار : البروز للصحراء . (٥) المنتقد : السمة ، وفي الأصل "منتقد" . (٦) يريد زار فسهّلت الهمزة . (٧) يشير بذلك الى القيد كما يدلّ عليه البيت التالي . (٨) القدّ : سير من جلد يقيّد به الأسير . (٩) الغرار : حدّ الرمح والسهم والسيف . (١٠) في الأصل "مرحى" .

حلماءُ فى الحُلَّى فإن هم أُغضِبوا ... طاشوا وفَنَّت(١) فيهم الأوتارُ

لو صحَّ تُسمعهم وصوتُك فى الثرى ... لخصوا عليك وفى السماء لطاروا

خذلوك مضْطَرِين فيك وجمجموا ... من بعد ما فَصُحت بك الأخبارُ

وتناذروا أن يندبوك تقيَّةً(٢) ... فالحزنُ بينهم عليك سِرارُ

إن يُمسكوا فيضَ الدموع فربَّما ... فاضت عيونٌ فى الصدور غِزارُ

أو يجلسوا نظرا ليوم تَشاوُرٍ ... فالريثُ أحزمُ ما أرابَ بِدارُ

ولربَّما نام الطَّلوبُ بثأره ... لغدٍ ولكن لا ينام الثارُ

وقد اشتفى بعد البسوس "مهلهل" ... زمنا وما نَسِيَ الدَّمَ "المِتْوارُ"

وعلى "الطفوف" دمٌ أطيلَ مِطالُه ... حتى تقاضى دَيْنه "المختارُ"(٣)

لا بدَّ من يومٍ مريضٍ جوُّه ... للخيل فيه بالرءوس عِثارُ

متوردِ الطرفين يكفُرُ شمسَهُ ... دَجْنٌ له عَلَقُ الكماةِ قِطارُ

تَصلاد باسمك آخذين بحقِّهم ... عُصَبٌ لهم "عبدُ الرحيم" شِعارُ

فهناك يعلم قاتلوك بأنه ... ما عُقَّ مَن أبناؤه أبرارُ

ويرى عدوُّك — والبقاءُ لغيره — ... أنَّ البقاءَ وإن أطيلَ مُعارُ

وإن اشتفى وحَلا بفيه غدرُهُ ... أنَّ اعتقابَ حلاوتيه مُرارُ

ولقد يُشاكُ(٤) المجتنِي بمكان ما ... عجِلتْ يداه ويُلدغُ المشتارُ

ولَّى بها شنعاء تذهبُ نفسُهُ ... فيها ويبقَى لومُها والعارُ

---

(١) فنت : نصوتت ، والأوتار جمع وتر وهو شرعة القوس ومعلَّقها . (٢) تقيّة : اتقاء وخوفا . (٣) الطفوف : يراد به الطفّ وهو موضع قرب الكوفة قُتل به الإمامُ الحسين رضى الله عنه والمختارُ هو ابن عبيد الثقفىّ وقد قام بأخذ الثأر من قَتَلة الحسين فسعى الناس الى محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بابن الحنفيّة . (٤) فى الأصل "يشال" .

درست بك السُّنن الحميدة وآعتدى ... نقدُ المكارم وهو منك ضمارُ[1]

هل سائلٌ بك بعدها أو قائلٌ: ... هيهات لا خبرٌ ولا آستخبارُ!

حتى كأنك لم تقُدْ مألومةً[2] ... يُومَى اليك أمامَها ويُشارُ

خرساءَ إلا ما تكلِّم صارمٌ ... فى قونسٍ[3] أو طَنَّ عنه فقارُ

تهوى عليك عُقابها[4] ويضمُّها ... منشورةً لسنائك التكرارُ

وكأنَّ رأيك لم يلُحْ قبَسًا اذا ... عَمِيتْ عشايا الرأى والأبصارُ

واذا خِلاط الأمرِ سُدَّ طريقُه ... فلديك واضحةٌ له وقرارُ

وكأنّ بابَك لم يكن لعُفاته ... حَرَما يُجير ولا حمًى يُمتارُ

يأوى اليه المسلتون[5] ويلتقى ... بفِنائه السُّفّارُ والحُضّارُ

وتبيت تَلْغَطُ من وصائل ناقةٍ ... عُشَراءَ عندك بُرمةٌ[6] أعشارُ

تُصفِى كرائمَها الضيوفَ وتكتنى ... فيما يليك بما آنتقى[7] الجزّارُ

وكأنّ كفّك لم تبِنْ فى ظهرها ... قُبَلُ الملوك وتشهدُ الآثارُ

ويخفّ بين بنانها إذ حُثّتْ ... ضغطُ الحسامِ ويثقُل الدينارُ

بالكره منك وبالمساءة رَوّحت ... لسوى العُقور على البيوت عِشارُ

وتراجعتْ وخدودُها ملطومةٌ ... بُزُلٌ لقصدك وُجِّهتْ وبِكارُ

وغفلتَ لم تسأل ـ وأستَ بغافلٍ[8] ـ ... أنّى تنكّب بابَك الزُّوّارُ

وتسلّبتْ من فارسٍ أو راكبٍ ... قلك السروجُ اليك والأكوارُ

---

(١) الضمار: الوعد المسوف. (٢) المومة: الكتيبة. (٣) القونس: مقدم الرأس أو العظم الناتئ بين الأذنين. (٤) العقاب: الراية وكانت راية النبى صلى الله عليه وسلم تسمى "العقاب". (٥) المسلتون: المجدبون. (٦) البرمة: القدر. (٧) انتقى: استخرج النِّقْى وهو مخ العظام. (٨) فى الأصل هكذا

* وعقلت لم تسأل وأست بعاقل *

ومـــتى أرمّ[1] المادحون وأكسدتْ ... من بعـــد ما نفقتْ بك الأشعـــارُ

أو أن أقولَ فلا تصيخ لقـــولتى ... او كنتَ متروكا وما تختـــارُ[2]

وترى الزمانَ يضيمنى[3] فيفوتنى ... من راحتيك حميَّـــةٌ وغِيـــارُ[4]

قد كنتَ حصنا من وَرَاىَ وكان لى ... بك من أمامى جُنَّةٌ وصِـــدارُ

أيامَ شـــيبى تحت ظلّك نضرةٌ[5] ... وصِبًا وليـــلى فى ذراك نهـــارُ

وعلىَّ من نُعمَى يديك طلاوةٌ ... أمشى وتتبعنى لهـــا الأبصارُ

قد كنتُ أحسبُ أن باسَك هضبةٌ ... لا يســـتطيع رُقِيَّها المِقـــدارُ

وأقولُ[6] أنّ لسقف بيتك فى العلا ... عَمَـــدًا حبالُ الموت عنـــه قصارُ

وإخالُ جودَك نَشْلةٌ دون الورى ... حصـــداءَ تمنع فَرْجَهـــا الأزرارُ[7]

فاذا الشجاعةُ والسماحـــةُ منجرٌ ... تزكو بـــه الأعمـــالُ والأعمـــارُ

غـــدرا من الأيام تُفْتِـــقُ[8] شمسُها ... والأرضِ تورقُ فوقَها الأشجـــارُ

ومذلّة فى السُّحبِ وهى صواحب ... ليديك تَنزِل بعـــدك الأمطارُ

كم قـــد تعلّاتِ المنى بك ، تارةً ... أمنٌ وطورا خِيفـــةٌ وحِذارُ

وتخالفتْ فيك الرُّواةُ فسرّنى ... وتلوّنت بحـــديثك الأخبـــارُ

ولقـــد ظننتُ بهـــا وراءَ لثامها ... خـــيرًا[9] فكشّف قُبحَها[10] الإســـفارُ

إن تفتقدْ عينى مِثالَك فى العـــلا ... فبنوك من عَين العـــلا آثارُ

---

(١) أرمّ : سكت . (٢) فى الأصـــل "تختار" . (٣) فى الأصـــل "يضمّنى" .

(٤) الغيار : الغيرة من الحميّة والأنفة ، وفى الأصل "عثار" . (٥) فى الأصل "نصرة" .

(٦) أقول هنا بمعنى أظنّ . (٧) فى الأصل "الإزار" . (٨) يقال : أفتق قرن الشمس بمعنى أصاب فتقا من السحاب فبدا منه . (٩) فى الأصل "فتحها" . (١٠) فى الأصل "الأشفار" .

سقوا مكانك واشدوس اذا هوت ... سالت مطاوح نورها الأقمار

طبّ فى الثرى نفسا فكلّ منهم ... تمّ اقتراحك فيه والإيثار

هم ، أنفسا تُدوى عداك وألسنا ... (١) من حمر نيك سلائط وشرار

كانوا السّراة وقد عدمت وبعضهم ... لأبيه إن طرق الحمام عوار

متلاحقين الى العلاء كأنهم ... جُرَدٌ يجمع بينهم مضمار

أوقدتُ وقدك طائف ميوتهم ... والحامل المعضلات والأسوار

لُقّى عليهم منك كلّ فضيلة ... لبثت فيهن الشتر والنكار

أيد طُبعن على السماح وأوجه ... فى عقبها من دوحتك نجار

هم ما هم ! وبزين مجد أبيهم ... حالٌ لوقد المجد منه يسوار

ما غبتَ عنهم وهو شاهدُ أمرهم ... لك منه فيهم كافلٌ وطوار

فليق وليبقوا له ما طبّق الـ ... آفاق طِيبُ ثنائك السيّار

واذا العزاءُ أتى فذلّل لهم به ... فيك العزيزُ وأسهل المعسار

واقد أُسلّيهم (٢) وفى عِطفى لهم ... جَزَعٌ ورجع كلامىَ استعبار

ساهمتهم عِبءَ المصاب وكلنا ... تحت التجمّل حامل صبّار

لا تبعدنّ بلى ، فقد فات البلى ... بك أن يُظنّ نقرب ومزار

وسقاك إن عطش القليبُ وماؤه ... منبجس (٣) وقراره خرّار (٤)

---

(١) ندى : تُرض . (٢) فى الأصل "أسلبهم" . (٣) منبجس : متفجّر ، وفى الأصل "منحس" . (٤) خرّار : له خرير وهو صوت الماء ، وفى الأصل "جرّار" .

متهـــدِّلُ الأطرافِ يَمسَحُ بالثرى ... مما ترا كَمَ ذيلُهُ الجَـــرَّارُ

صَخِبُ الرُّعودِ تَهيـــجُ فى جَنباتِهِ ... للعاصفـاتِ جَراجِرٌ(١) وخُـــوارُ

فجـــرى يجلِّلُ بالحيا حِيطانَهُ ... حتى الجـــداولُ تحتها أنهارُ

يَسوقِ بأعذب ما سَقَى حيث ٱلتقتْ ... فِلَقُ الصفيح عليـــكَ والأحجارُ

حتى يُظنَّ تُرابُك نَشـــوانا به ... دارت عليـــه من السحابِ عُقارُ

ويضوعَ منك بطيبِ ما فى ضمنه ... فكأنّ ضاوِجَ تُربه عطّـــارُ

ونزلتَ حيث تُحَطُّ أملاكُ العـلا ... شـــوقا اليـــك وتُرفَعُ الأوزارُ

تم الجـــزء الأوّل

ويليه الجزء الثـانى ، أوّله قصيدة مطلعها

رعَتْ بين "حاجرَ" والنعفِ "شهرا" ... بَهيمًا(١) وعبَّتْ(٢) شآبيبَ غُـــزْرا

---

(١) الجراجر : الأصوات . (٢) البهيم : النبات الكثير . (٣) عبّت : شربت وجرعت ، وفى الأصل "غيّبت" .

إصـــلاح خطأ

وقعت فى هذا الجزء أغلاط قليلة نرجو تصحيحها فى صُحُفها وهى :

صحيفة	سطر	خطـــأ	صـــواب
١	١١	وقَذاءُ	وقَذاةُ
٢٧	١٢	المزْح	المِراح
٢٧	٢٠	(٤) الجُرُبُ جمع أجرب	(٤) الجَرِبُ : الأجربُ
٢٨	٢٢	(٩) الأُهَبُ جمع أُهبة وهى العدة	(٩) الأُهَبُ جمع إهاب وهو الجلد
٣٠	٦	كاثَرُوا	كاثَرُوا
٤٤	١٥	الرُّجَّمِىّ	الرُّجَمِىّ
٤٥	٢١	حجراتهم	حجراتهم
٤٧	٧	رافدتُ	رادفتُ
٤٧	٩	نُدْمَل	تَدْمَل
٤٧	١٦	شَجَّهُ الأيامُ	شبيهةَ الأيامِ
٤٨	٢	حُسْنَها	خَسْفَها
٤٨	١٠	رأمتُ أبواءَها	رُثِمتْ أبواؤُها
٤٩	٩	محداجُها	مَحْداجُها
٥٠	١٧	ذُوبها	ذِيوبها
٥٠	٢٢	(٩) تزِمّ : نصرتُ	(٩) تُرِمُّ : مَنَعْتُ
٨٨	٢	أبى الحسين	أبى الحسن
١٥٥	٢٠	(٣) الجَوْنة : الحجارة السود	(٣) الحَرَّة : الأرض ذات الحجارة السود
١٥٢	٢١	(٦) لأثمتْ : لأمت	(٦) لأرمتْ : مَنَعَتْ
١٧٥	١٧	وُرقاء	وَرقاء

obeikandl.com